حامد الخفاف





دار المؤرخ العربي
بيروت - لبنان


الرحلة العلاجية
لسماحة السيد السيستاني
وأزمة النجف
عام ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م



حامد الخفاف

الرحلة العلاجية لسماحة السيد السيستاني دام ظله وأزمة النجف

عام ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

دار المؤرخ العربي
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

دار المؤرخ العربي

بيروت - بئر العبد - مقابل بنك بيروت والبلاد العربية - بناية نخلة
تلفاكس: ٠١/٥٤١٤٣٦ - هاتف: ٠١/٥٤٤٨٠٥ - ص.ب: ٢٤/١٢٤
البريد الإلكتروني: al_mouarekh@hotmail.com
www.al-mouarekh.com



الإهداء

إلى من

خرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته

فأعطاه عزّاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان

إلى مرجع الأمة، سماحة آية الله العظمى

السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله الوارف

أهدي هذا الجهد المتواضع

المؤلف

لوحة الغلاف:

صـورة نـادرة لسماحة السيد السيستاني دام ظله حين زيارتـه مرقـد الإمـام علي عليه السلام، بعـد عـودتـه من رحلته العلاجية الشهيرة بتاريخ ١٣ رجب ١٤٢٥ هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

لم يدر في خلدي يوماً أن تسوقني الأقدار، كي أرافق سماحة السيد السيستاني دام ظله الشريف في رحلة علاجية مثيرة من النجف الأشرف إلى لندن ذهاباً وإياباً، تمت في ظروف معقدة على المستويات السياسية والأمنية، وفي مرحلة خطيرة من تاريخ العراق الحديث.

كما لم أفكر، وأنا أدون يومياتي في تلك الأيام اللاهبة من صيف ٢٠٠٤م أنها ستتحول إلى كتاب يوثق مجريات تلك الفترة، ويشرح الظروف والأسباب التي وجهت حركة الأحداث، واتخاذ القرارات التي بدت للكثيرين غير مفهومة، ويجيب على تساؤلات وشبهات ظالمة طالت المرجعية الدينية العليا بسبب تزامن الرحلة مع انهيار أمني كبير في مدينة النجف الأشرف نشبت على إثره معارك عنيفة بين قوات الاحتلال الأمريكي، والحكومة العراقية من جهة، وجيش المهدي من جهة أخرى، بدأت في أطراف المدينة، ووصلت إلى المدينة القديمة حتى الحرم العلوي الشريف...

ولم يعرف كثيرون حجم الاتصالات والجهود التي بذلتها

المرجعية وهي على فراش المرض ـ والتي سيسردها هذا الكتاب ـ من أجل إنهاء الأزمة، وعندما لم تفلح قررت العودة إلى النجف فور انتهاء العلاج، وهي تقود مسيرة جماهيرية إنقاذية تاريخية، فاجأت الجميع وقلبت التوقعات، وفرضت واقعاً جديداً، ومشروعاً ناجحاً للحل، لينتصر صوت الحكمة على أزيز الرصاص ودوي المدافع...

أتمنى أن تكون هذه المذكرات مفيدة لتسليط الضوء على مرحلة شابها الكثير من الغموض، ولترفع بعضاً من الحيف والظلم الذي لحق بالمرجعية الدينية العليا.

والله من وراء القصد.

حامد الخفاف

بيروت في ١٠/٢/٢٠١٢

الفصـــل الأول

رحلة سماحة السيد السيستاني (دام ظله)

الأسباب، الاستعدادات، السفر

قبل البدء

أُجري لسماحة السيد السيستاني تخطيط للقلب في يوم الجمعة المصادف ٢٠٠١/٦/١، وشخّص الطبيب الاختصاصي في النجف الأشرف أنّ هناك خللاً يستدعي إجراء عملية القسطرة لسماحته، وعلى الفور تمت مراجعة طبيبه الخاص الدكتور مجيد المصطفى في بغداد، وأوعز بإعادة التخطيط تحت الإجهاد والفحص بالإيكو، وتمّ نقل سماحته إلى بغداد في يوم الثلاثاء المصادف ٢٠٠١/٦/٥، تحت مراقبة أجهزة المخابرات العراقية آنذاك وأجرت الدكتورة إيمان العبيدي الفحص بالإيكو، والدكتور نظام الحسني التخطيط تحت الإجهاد، وكانت النتائج مطَمْئنة حيث قرّر الطبيب المُعالج عدم الحاجة إلى عملية القسطرة في ذلك الوقت ووصف لسماحته عدداً من الأدوية (انظر الوثائق ١، ٢).

اكتشاف المرض:

في يوم الجمعة المصادف ٢٠٠٤/٧/٩، الساعة الحادية عشرة ليلاً، رنّ جرس هاتفي الجوّال، كان على الطرف الآخر السيد محمد

رضا السيستاني ـ نجل سماحة السيد السيستاني ـ من النجف الأشرف، وقال: «هناك فحوصات دورية يجريها سماحة السيد كل ثلاثة أشهر تقريباً على يد طبيبه الخاص، الدكتور مجيد المصطفى، وفي تخطيط القلب الأخير، تبيّن أن هناك خللاً معيناً في شرايين القلب، بدا ذلك واضحاً للطبيب المشرف بعد مقارنة التخطيط الأخير بالتخطيط الذي أجري لقلب السيد قبل ثلاثة أشهر، وقد قام الدكتور مجيد باستشارة مجموعة من الأطباء الاختصاصيّين في بغداد فقالوا: «إن الموضوع بحاجة إلى عناية ودراسة»، وهو يقترح أن تُرسل أشرطة التخطيط مع تقرير طبي إلى خارج العراق لطلب الاستشارة لتقييم الحالة، إلى لندن مثلاً، فما هو رأيكم؟

قلت: «مع دعائي لسماحة السيد بالشفاء، فإن هذا الأمر ممكن، غير أنه يمكن عرض الموضوع على اختصاصيّين كبار في لبنان، والعمل بأكثر من اتجاه».

انتهت المكالمة، وراحت الأفكار تدور في رأسي، فسماحة السيد ليس مريضاً عادياً، كما أن الأوضاع التي تحيط به ليست طبيعية، فضلاً عن تدنّي مستوى الإمكانات الطبية هناك ويرافق ذلك تدهور الأوضاع الأمنية، وصعوبة تحرّكه شخصياً.

في يوم الأحد المصادف ٢٠٠٤/٧/١١، أخبرني السيد محمد رضا بأنه أرسل لي عبر البريد الإلكتروني أشرطة فحص القلب مع تقرير طبي لا يحمل اسم السيد الصريح (أنظر الوثيقة ٣) واتّفقنا أن تبقى المسألة طيّ الكتمان. وأخبرته أنني سوف أُتابع المسألة صباح غد الاثنين وسأراجع اختصاصيّين في القلب من دون الكشف عن هوية المريض إن أمكن.

في يوم الاثنين المصادف ١٢/ ٧ / ٢٠٠٤ الساعة التاسعة والنصف صباحاً استحصلت على موعد عاجل من الدكتور البروفسور رولان كساب رئيس قسم أمراض القلب في مستشفى (أُوتيل ديو) في بيروت وقدمت له أشرطة التخطيط مع التقرير الطبي وطلبت استشارته مكتوبة، فشرح لي الحالة وكان تشخيصه الأولي هو أن المريض بحاجة إلى عملية تمييل شرايين القلب ـ قسطرة ـ (انظر الوثيقة رقم ٤).

في الساعة الثانية والنصف من ظهر اليوم نفسه استحصلت على موعد عاجل جداً من الدكتور سمير العلم في مستشفى الجامعة الأميركية في بيروت وهو من كبار الاختصاصيين في أمراض القلب في الشرق الأوسط، وقدمت له الوثائق، فقال: لا أستطيع تقييم الحالة من دون معاينة المريض. فأجبته: «هذا غير ممكن لأن المريض لا يستطيع الانتقال»، قال: «من الصعب تشخيص الحالة من دون إجراء عملية تمييل أو فحوصات أساسية».

قلت: «هذا لا يتيسر لمريضنا بشكل طبيعي وعلى كل حال أرجو أن تزوّدونا برأيكم مكتوباً».

قال: «لا أستطيع أن أُزوّدك بأي نص مكتوب ما لم تكتمل عندي الفحوصات الكاملة». وأردف قائلاً: «أراك مقيداً في الحديث وكأن هناك شيئاً غير طبيعي».

حينها قررت إخبار الدكتور سمير بهوية المريض، قلت له: «هل يمكن أن يبقى ما سأخبرك إياه سراً، لا يمكن البوح به لأي جهة؟» قال: «هذه الغرفة الصغيرة تحتوي على أسرار طبية لكبار الشخصيات

في منطقتنا ولك أن تطمئن». فعرّفته باسمي وصفتي، فتفاجأ وحرّك كرسيه إلى الأمام مركّزاً اهتمامه لي وقال: «الموضوع مهم ولا يمكن التعامل معه بهذه الطريقة». ثم أعاد قراءة التقارير ثانية وقال: «هل يمكن أن يقوم السيد بعمل فحص (اختبار جهد) في المكان الذي هو فيه، علماً أنّ هذا الجهاز موجود في المستشفيات العادية، حتى نستطيع أن نستوضح الصورة أكثر»، قلت: «لا أدري». عند ذلك زوّدني بتقرير مكتوب (انظر الوثيقة رقم ٥) بيّن فيه رأيه في الحالة، وأبدى استعداده الكامل والمطلق في التعاون، وأعطاني أرقام هواتفه الخاصة والدولية ثمّ أكّد علَيّ أن لا أتردد في الاتصال به في أي وقت وأن أضعه بأجواء تطور الحالة، فشكرته على ذلك.

بعد عودتي من المستشفى أرسلت كافة التقارير إلى السيد محمد رضا السيستاني، وتحدثت معه بحدود الساعة الخامسة مساءً فأكّد لي وصول الاستشارات الطبية وأنه أرسلها إلى الطبيب المختص لدراستها، أما بالنسبة لموضوع (اختبار الجهد) فإنّ هذا أمر يمكن ترتيبه من خلال توفير الجهاز الخاص والإتيان به إلى منزل سماحة السيد، وقد دُرست هذه المسألة قبلاً، غير أنّ الطبيب المختص لا يرى صوابية ذلك، لأنّ سماحة السيد سوف يبذل جهداً كبيراً في هذا الفحص، آخذين بعين الاعتبار عمر سماحة السيد، وقد تكون الحالة بسيطة فلا يؤثّر اختبار الجهد عليه، ولكن ربما تكون الحالة خطيرة ويستتبع اختبار الجهد مضاعفات لا يمكن التكهّن بها ولذلك فهو لا ينصح بإجراء اختبار الجهد بل يفضّل إجراء عملية القسطرة.

مرّت عشرة أيام لم ينقطع خلالها التواصل مع النجف بخصوص المسألة. وفي هذه الفترة طلبنا استشارة طبية من

اختصاصيّين في لندن أهمهم البروفسور «Dewson» وكان رأيه أنّ أهم خطوة في الوقت الحاضر تكمن في إجراء الأنجيوغرافي (القسطرة) والتي على ضوئها يمكن التكهّن بنوع العارض بصورة دقيقة ـ وعلى حدّ تعبيره ـ أنها كالأشعة أو التصوير بالرنين المغناطيسي لمريض العظام، ومن ثم يمكن تشخيص طريقة العلاج.

وخلال هذه الفترة اتصل بي الدكتور سمير العلم من مصر ـ حيث كان في زيارة إلى هناك ـ يستعلم عن حالة السيد الصحية فأخبرته أن لا جديد يذكر، وأننا بانتظار استكمال الاستشارات الطبية لنكوّن تصوّراً مبدئياً عن الخطوة التالية.

في يوم الجمعة المصادف ٢٠٠٤/٧/٢٢ قدِم وفد طبي عراقي من بغداد إلى النجف وكان مكوّناً من أربعة اختصاصيّين بينهم الدكتور حكمت الشعرباف، اختصاصيّ القلب المعروف، يرافقهم الدكتور مجيد المصطفى، وزاروا سماحة السيد السيستاني وأجروا له فحوصات أولية، بينها تخطيط للقلب، ورأوا أنّ الحالة غير مستعجلة ويمكن أن تؤجّل إلى أسبوعين وفي حدّ أقصى إلى ثلاثة أسابيع وبعدها لا يمكن التكهّن بتداعيات الحالة لأنهم لا يستطيعون تشخيص ذلك إلّا من خلال عملية القسطرة، وعلى ضوئها يمكن تشخيص طبيعة العلاج، وهذا ما أجمعت عليه كافة الاستشارات الطبية التي أشرنا إليها.

مكان الاستشفاء:

وفي التاريخ نفسه، بدأ التفكير الجدّي بالمكان الذي يمكن أن

يتطبّب فيه سماحة السيد. فالموضوع معقّد من كافة جوانبه، وتتداخل فيه الجوانب الأمنية والسياسية والاجتماعية والصحية، وكان الأقرب إلى قلب سماحة السيد أن تتم العملية في إحدى مستشفيات بغداد ولكن هذه الرغبة عورضت بإشكالين:

الأول: أن الإمكانات الطبية لإجراء عملية القسطرة متوفّرة ولكن هذه العملية هي ليست هدفاً بحدّ ذاتها وإنما هي وسيلة أساسية ومباشرة لتشخيص الحالة وقد تكون الحالة بسيطة ويمكن معالجتها، كذلك يمكن أن تكون معقدة وتحتاج إلى عملية جراحية، وفي الحالة الثانية الإمكانات الطبية غير متوفرة، ولا يمكن المجازفة بالوضع الصحي لسماحة السيد، فضلاً عن تدني مستوى الرعاية الطبية والخشية من التلوث لفقدان التقنيات اللازمة.

الثاني: إن الوضع الأمني في بغداد متدهور وبقاء سماحة السيد ولو لأيام معدودة في مكان ثابت قد يعرّض حياته الشريفة إلى خطر جدّي خصوصاً بعد أن شهدت بغداد عمليات تفجيرية وانتحارية كبيرة، ليس أقلّها تفجير مبنى الأمم المتّحدة.

وعلى ضوء ذلك، تمّ استبعاد خيار أن تكون بغداد محلاً لاستشفاء سماحة السيد، وطُرحت أفكار عديدة في أن يكون الاستشفاء في بعض دول الشرق الأوسط مثل: (الأردن، الكويت، الإمارات، لبنان، إيران) وفي الحقيقة تمّ التفكير ملياً في كل هذه الدول، وكان لكل حالة أسباب مانعة قد تختلف عن الأخرى مع معرفتنا الأكيدة أن سماحة السيد سوف يكون محل ترحيب في كل هذه الأماكن.

ويمكن إجمال الأسباب المانعة بالآتي:

أولاً: إن سماحة السيد ليس مريضاً عادياً وبحكم دوره المهم ومواقفه الحاسمة في الوضع العراقي سوف يكون لسفره تداعيات سياسية، وفي بعض هذه البلدان لا نستطيع التحكم بمسألة أن تكون الرحلة طبية بحتة.

ثانياً: الضغط الاجتماعي والشعبي الكبير الذي سيتوافد على بعض هذه العواصم من قبل أطياف شيعية من كافة أنحاء العالم لسهولة الوصول إليها حيث يؤدي ذلك إلى حرج شديد لسماحة السيد خصوصاً وأن الاجتماع الشيعي العالمي موزّع الاتجاهات والمشارب، ومن الطبيعي أن الزائر سوف يجمع بين عيادته لسماحة السيد وبين طرح الرؤى والأفكار والمشاكل، كلٌّ في منطقته وبلده، ولا يمكن تحديد الزيارات لأنّ ذلك يتعارض مع منهج المرجعية ومزاج سماحة السيد، كما أنها المرة الأولى التي يغادر فيها سماحة السيد العراق بعد عقود من الزمن، ولعلّها الفرصة الوحيدة لكثيرين ممَّن لا يستطيعون الذهاب إلى العراق للقاء سماحة السيد.

وكلّ ما ذكرته أمر طبيعي، وهو محل ترحيب عند سماحة السيد، ولكنني أشير إلى أنّ الوضع الصحي لسماحته لا يسمح بذلك وأنّه سوف يشكّل ضغطاً كبيراً عليه، وقد يؤثّر على حالته الصحية بشكل غير مباشر.

ثالثاً: إن الوضع الأمني في بعض هذه البلدان غير مضمون، ووجود الجماعات التكفيرية المتشددة ونشاطها المسلّح غير خافٍ

على أحد، وقد قامت بأعمال انتحارية ضد أماكن حساسة. وعليه، فمن غير المعقول المجازفة بحياة سماحة السيد.

رابعاً: إن ذهاب سماحة السيد إلى بعض هذه البلدان للاستشفاء قد يكرّس مفهوماً خاطئاً طالما اتُّهِمَتْ به الطائفة الشيعية في العراق وهو تبعيّتها لبلد معيّن.

كل هذه الأمور ـ إضافة إلى أمور أخرى لا حاجة إلى ذكرها هنا ـ جعلت التفكير يتوجّه إلى خارج منطقة الشرق الأوسط وتحديداً إلى لندن....

لماذا لندن؟

لم تنقطع دوّامة التفكير لحظة واحدة، وبدأت الخيارات تنحسر... ومن عواصم أوروبا كان التوجّه المنطقي يؤدّي بنا إلى لندن.

والعنوان الذي صدّرتُ به هذا المقطع من كلامي استمرته من صحفي إيراني كتب مقالة عجيبة غريبة في إحدى الصحف الإيرانية إبّان وجودنا في لندن وكانت تحتوي على كلّ شيء إلّا الحقيقة!!! وكان عنوانها: (چرا لندن).

ولعل من أهم أسباب اختيار لندن مكاناً لاستشفاء سماحة السيد هو:

أولاً: إن الفريق الطبي العراقي الذي زار سماحة السيد في يوم ٢٠٠٤/٧/٢٣ أجمع على ترجيح لندن محلاً للاستشفاء، ذلك

لأن المدرسة الطبية العراقية تنتمي من الناحية العلمية إلى المدرسة البريطانية، حتى أنّ طبيب السيد الخاص هو خريج جامعات بريطانيا، وهذا الإجماع منشؤه اعتقاد هؤلاء الأطباء بالطب البريطاني وتقدّمه العلمي.

ثانياً: إن عدداً كبيراً من مراجع الدين والشخصيات العلمية كانوا يقصدون لندن على الدوام للأسباب الصحية، وأذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر، رحلة المرجعين الكبيرين السيد محسن الحكيم والسيد أبو القاسم الخوئي (قدس سرهما)، وآخر من قصدها هو المرجع الشيخ الميرزا جواد التبريزي (قده) والمرجع الشيخ محمد الفاضل اللنكراني (قده).

وفي هذا السياق كان من الطبيعي أن يعالج سماحة السيد السيستاني هناك.

ثالثاً: إن وجود الجالية العربية المسلمة بكثافة في لندن وخصوصاً الجالية العراقية، ووجود كوادر طبية مهمة هناك، شجّع على اختيار لندن. وهنا أشير إلى أنّ الفريق الطبي الذي أشرف على استشفاء سماحة السيد في لندن كان في أغلبه من العراقيين المخلصين لسماحته وأصدقائهم العرب، مما ساهم في تبديد الكثير من الهواجس التي كانت تشغل تفكيرنا بأن يتعرض سماحة السيد لاعتداء طبي في تلك الفترة!!

وأذكر هنا بإكبار وتقدير الدكتور هشام الحسن ورفيقه الدكتور محمود البربير ـ وقبلهم وبعدهم الدكتور مجيد المصطفى ـ وآخرين

لم يتوانوا عن الإشراف على دقائق الأمور وتفاصيلها، فكانوا يدقّقون بوصفات الدواء وطبيعة الأدوية، وشاركوا في اتخاذ القرارات الحاسمة مع الأطباء البريطانيين بما يمليه واقع الحال.

وفي الحقيقة، فإنّ هذه الحالة لا يمكن أن تتيسّر في عاصمة غير لندن.

كيفية السفر:

وعلى هذا الأساس اتخذ سماحة السيد قرار الانتقال إلى لندن لغرض العلاج. وبدأنا التفكير في الصيغة المناسبة لتنفيذ الأمر بالشكل المناسب، فالمسألة كانت غاية في التعقيد، وكنّا نفكر في مكتب سماحة السيد في الجهة الرسمية التي نفاتحها لترتيب عملية الانتقال، وكيفيتها، وآلية أخذ تأشيرات الدخول إلى بريطانيا، أمن داخل العراق أم من خارجه؟ والجهة التي تتصدى لذلك، والطريق الذي نسلكه للوصول إلى لندن في ظل عدم وجود خط طيران مباشر من بغداد إلى لندن.

وبعد تأمّل وتفكير تقرّر مفاتحة الدكتور موفق الربيعي بالموضوع بصفته مستشار الأمن الوطني في الحكومة العراقية، وبالفعل فقد اتصل به السيد محمد رضا السيستاني في يوم السبت ٢٠٠٤/٧/٢٤، وتبين أنه خارج العراق فترك له خبراً.

في الساعة العاشرة ليلاً اتصل الدكتور موفق بالسيد محمد رضا السيستاني، الذي وضعه بأجواء الوعكة الصحية المُلمّة بسماحة السيد والقرار المتّخذ بنقله إلى لندن، وذكّره بمسألتين:

الأولى: ضرورة الحفاظ على السرية الكاملة.

الثانية: إن سماحة السيد لا يرغب بالاستعانة بأية إمكانات تابعة لقوات الاحتلال في كل ما تستدعيه عملية الانتقال. كما لا يرغب بأي تدخل مادي من أي جهة رسمية أو غيرها. إنما المطلوب هو المساعدة بأخذ تأشيرات الدخول إلى بريطانيا، وعملية الانتقال.

وسأله عن إمكانية استئجار طائرة، وعن كيفية انتقال العراقيين من بغداد إلى لندن، فأجابه أنّ ذلك يتم عبر الخطوط الجوية الأردنية ثمّ طلب وقتاً ليستفسر ويجيب بشكل دقيق.

سأل الدكتور موفق الربيعي: هل تنوي إخبار أحد غيري من مسؤولي الدولة؟ فأجاب السيد محمد رضا: لا نرى ضرورة في ذلك.

فطلب الدكتور موفق مهلة يومين ليتشاور مع المسؤولين المعنيين، وأشار إلى إمكانية أخذ تأشيرات الدخول إلى بريطانيا من سفارتها في بغداد.

ومن تلك الليلة بدأ التفكير الجدي بالأسماء التي يفترض أن ترافق سماحة السيد في رحلته بعد إيماز سماحته إلى ضرورة الاقتصار في الوفد على من هو ضروري، وتقرّر أن يكون من الداخل كل من السيد محمد رضا والدكتور مجيد المصطفى، وأحد العاملين في مكتب سماحة السيد ـ وقد تمّ التراجع عن سفر الأخير في اللحظات الأخيرة بعد ما تأكد أنه لا ضرورة في سفره ـ ومن الخارج السيد مرتضى الكشميري والسيد جواد الشهرستاني والسيد محمد علي

الرباني ـ مدير مكتب سماحة السيد في مدينة مشهد الرضا ﷺ ـ وأنا.

في يوم الأحد ٢٠٠٤/٧/٢٥ اتصلت بالدكتور سمير العلم وأخبرته بآخر المستجدات حول وضع سماحة السيد الطبي، وأبدى ـ مرة أخرى ـ استعداده المفتوح لتقديم المساعدة بأية صورة نراها مناسبة.

في صباح يوم الاثنين ٢٠٠٤/٧/٢٦، أخبرني السيد محمد رضا أنه تحدث في الليلة الماضية مع السيد مرتضى الكشميري، ووضعه بأجواء الوضع الصحي لسماحة السيد والتفكير بنقله إلى لندن.

ثم تحدثتُ مع السيد محمد رضا عن أفضل الطرق الممكنة للانتقال، وكان الاتفاق على أن الأفضل هو الانتقال المباشر من بغداد إلى لندن من دون المرور ـ ترانزيت ـ بأيٍّ من عواصم البلدان القريبة كعمّان والكويت وبيروت لوجود تعقيدات كثيرة على المستويات الأمنية والشعبية والرسمية عند المرور بها، ولكن إذا اضطررنا للانتقال عبر دولة قريبة فقد تقرّر أن يتم ذلك عبر لبنان، ووافق سماحة السيد على الاستعانة برئيس مجلس النواب اللبناني الأستاذ نبيه بري في هذا الموضوع.

وفي هذه الأثناء كان الدكتور موفق الربيعي قد اقترح أن يُنقل سماحة السيد بطائرة أردنية خاصة إلى عمّان ومنها إلى لندن، ولكن الاقتراح لم يحظ بالموافقة، إذ كان تركيز سماحة السيد أن تتمّ العملية بإمكانات ذاتية بحتة.

في الساعة الواحدة من ظهر يوم الثلاثاء ٢٠٠٤/٧/٢٧، زرت الرئيس نبيه بري في مقرّ المجلس النيابي اللبناني وأبلغته بتوعك سماحة السيد وأنه بحاجة إلى رعاية طبية خارج العراق، وأننا بصدد دراسة الطرق والآليات المناسبة لنقل سماحته إلى لندن، وأن الموضوع يُفترض أن يتم بسرية تامة قدر الإمكان. بدت علامات الاستغراب والمفاجأة على الرئيس بري وأيّد توجهنا بضرورة أن يحظى سماحة السيد بالرعاية الصحية المطلوبة في الخارج، واقترح أن تُستأجر طائرة من شركة الخطوط الجوية اللبنانية (MEA)، وأوعز إلى مدير شؤون رئاسة المجلس النيابي السيد علي حمد بأن يسأل عن إمكانية استئجار طائرة من الخطوط المذكورة، تقلع من بيروت إلى بغداد ومن ثم تنطلق إلى لندن لنقل (عائلة عراقية) من دون أن يوضح له أي شيء آخر، وطلب منه أن يسأل عن:

أولاً: الإمكانية التقنية لنزول الطائرة في مطار بغداد، وإقلاعها ثانية؟

وثانياً: التكلفة المالية للرحلة؟

قال الرئيس بري: هناك طائرة تابعة لشركة خاصة، وأنا سافرت بها عدة مرات، ويمكن استئجارها، ولكنني أفضّل طيران الخطوط الجوية اللبنانية لأن طائراتها حديثة وإمكانياتها متطورة.

في الساعة الرابعة من عصر اليوم نفسه اتصلت بالسيد محمد رضا وأخبرته بمقترح الرئيس بري وأجواء اللقاء. وسألته: هل تحبذون مجيئي إلى العراق الآن أم أرسل لكم جواز سفري لأخذ تأشيرة الدخول البريطانية؟ فقال: الأفضل أن تكون الآن في بيروت،

وأن ترسل جواز سفرك. وبالفعل، أرسلت جواز سفري بيد مسافر انطلق في اليوم نفسه من بيروت إلى النجف.

حتى هذه الفترة كان سماحة السيد السيستاني يستقبل زواره بشكل طبيعي، ثم أوعز سماحته بإغلاق باب الزيارات كخطوة أولى، ليبدأ بعدها بأيام تسريب خبر مرض سماحته تمهيداً لنقله للعلاج حتى لا يفاجأ المؤمنون.

في الساعة الثانية عشرة والنصف من ظهر يوم الأربعاء ٢٨/٧/ ٢٠٠٤ اتصل الرئيس بري وقال لي: بعد التحقق، تبيّن أن إرسال طائرة لتنقل سماحة السيد بشكل مباشر من بغداد إلى لندن أمر غير ممكن لأن شركة التأمين تقدّمت بمطالب تعجيزية غير أنّ رئيس شركة الميدل ايست يقول بإمكانية إرسال طائرة خاصة تنقل سماحة السيد من بغداد إلى بيروت، ومن ثم ينتقل إلى طائرة عادية أخرى تابعة للخطوط الجوية اللبنانية لتنقله إلى لندن. قلت: أعتقد أن هذا الخيار جيد جداً وهو أقرب إلى مزاج سماحة السيد لأن الانتقال سيكون عبر طائرة في رحلة عادية بمعنى أنه لن تكون هناك طائرة خاصة.

اتصلت بالسيد محمد رضا وأخبرته بالاقتراح الجديد فاستحصل موافقة سماحة السيد على ذلك، ثم سأل ما هي آلية العمل الآن؟ قلت: أخبروا الدكتور موفق الربيعي بأننا اعتمدنا الطريق المذكور وسوف أبلغكم بكافة التفاصيل فيما بعد.

في هذه الأثناء كان السيد جواد الشهرستاني قد استحصل على تأشيرة الدخول البريطانية له وللسيد الرباني من القنصلية البريطانية في طهران.

عند الساعة الثالثة والنصف عصراً اتصل السيد محمد رضا وقال: تكلمت مع الدكتور موفق الربيعي وأخبرته بالطريق الذي اعتمدناه تقريباً لسفر سماحة السيد وطلبت منه ترتيب شؤون هبوط وإقلاع الطائرة التي سوف تأتي من بيروت، وأوعدني بأنه سيبحث المسألة ويعطي الجواب.

اتصل السيد محمد رضا في حدود الساعة السابعة مساءً وأخبرني باتصال الدكتور الربيعي به وإبلاغه أنه تمّ تشكيل غرفة عمليات مختصّة، وهي في حالة الإنذار القصوى استعداداً لعملية النقل، والشخص المسؤول عن العملية هو (حسين الأسدي) وأرقام هواتفه هي:...... ـ وذكر أربعة أرقام ـ ورمز العملية في التخاطب ما بين بيروت وبغداد هو (عملية نقل العائلة)، ويمكن لشركة الطيران التواصل مع هذا الشخص للتنسيق.

اقترحت على السيد محمد رضا أن يحدّد موعداً لسفر سماحة السيد ونعمل على استكمال كافة المستلزمات لإنجاز المهمة في ذلك التاريخ، فوافق سماحة السيد على أن يكون السفر يوم الجمعة المصادف ٢٠٠٤/٨/٦، وقد اقترحت عليه أن يكون باستقبال سماحة السيد في مطار بيروت مجموعة مختارة من الشخصيات اللبنانية، منها: الرئيس نبيه بري، السيد حسن نصرالله، الشيخ عبد الأمير قبلان، والرئيس حسين الحسيني، وبعض من خواص وكلاء سماحة السيد في لبنان بشكل خاص وسري. وأخبرته بأنّ السيد جواد الشهرستاني يؤيد هذا المقترح، فأوعدني أنه سيعرض الموضوع على سماحة السيد ويعطيني الجواب. ثم اتصل بي وقال: إن سماحة السيد

لم يوافقوا على المقترح لعدة أسباب أهمها أنه لا يمكن ضمان عدم انتشار خبر الرحلة قبل إتمامها لو أُخبر بها كل هؤلاء.

بعد انتهاء المكالمة اتصلت بالرئيس بري وأخبرته بأننا اعتمدنا الآلية التي ذكرتُها ولديّ كلام خاص ولا بدّ أن أراه غداً. قال: غداً الخميس، وقتي ضيق جداً لأنني مرتبط بالتزامات عقد قران ابنتي في الصباح والمساء، ولكن هل تستطيع أن تأتي الآن؟ قلت: لا، لأنني خارج بيروت، قال: إذاً أنتظرك غداً الساعة الواحدة.

في الساعة الواحدة من يوم الخميس ٢٠٠٤/٧/٢٩، التقيت الرئيس بري في منزله في عين التينة، وأخبرته بالمعطيات الموجودة لديّ عن الرحلة، وأننا حدّدنا موعداً مبدئياً لها. ولكن لم يتقرّر بعدُ هل ينتقل سماحة السيد عبر الخطوط الجوية اللبنانية من بيروت إلى لندن، أو عبر الخطوط الجوية البريطانية، فذكر الرئيس بري أن الأنسب هو الخيار الأول، لأنه لو حدثت إشكالات في مطار بغداد حالت دون إقلاع الطائرة في الوقت المناسب، حينها يمكن تأخير الطائرة اللبنانية بشكل أو بآخر، في حين أن هذه الإمكانية مفقودة في حالة الخطوط الجوية البريطانية، وكان الفارق الزمني الذي حدّدناه بين وصول الطائرة من بغداد إلى بيروت وبين إقلاع الطائرة المتجهة من بيروت إلى لندن بمقدار خمسٍ وأربعين دقيقة وهو وقت ضيق نسبياً.

وافقت على مقترح الرئيس بري فاستدعى علي حمد وطلب منه الاتصال بالسيد محمد الحوت رئيس شركة طيران الشرق الأوسط اللبناني لحجز مقاعد لأربعة مسافرين وتنسيق المسألة معه على

أساس أن هذا الموضوع يخصّ (عائلة) يهتم بأمرها الرئيس بري من دون إعطاء تفصيلات ولا أسماء، وأنه سيكون شخصياً بالمطار ليقوم بنقل (العائلة) من الطائرة القادمة من بغداد إلى الطائرة المتجهة إلى لندن، وسيقوم بمتابعة كافة إجراءات الأمن العام في المطار.

قلت لعلي حمد: المهم حسم موضوع الطائرة التي ستنقل (العائلة) من بغداد إلى بيروت. واتفقت معه على أن يتابع الموضوع مع محمد الحوت ويعطيني الجواب.

خرج علي حمد، فقلت للرئيس بري: إن الاتفاق مع مكتب سماحة السيد أن يبقى موضوع الرحلة سرياً وأنهم لا يريدون أي استقبال في المطار لأسباب عديدة. قال: هذا صحيح، ولولا ضرورة أن أكون أنا شخصياً كي تتمّ العملية على أكمل وجه من دون أية إشكالات ما كنت لأحضر.

بعد ساعتين اتصل بي السيد علي حمد وقال: التقيت السيد محمد الحوت وتداولت معه بموضوع الطائرة التي يمكن أن تنقل (العائلة) من بغداد إلى بيروت وتبين أنه لا توجد إمكانية عند طيران الشرق الأوسط اللبناني لإرسال هكذا طائرة وهو يفضّل أن نستفيد من طائرة تجارية صغيرة تابعة لشركة (بساط الريح) اللبنانية وصاحبها السيد مازن البساط، والسبب أن هذه الطائرة تذهب إلى بغداد مرتين في الأسبوع وإدارة الشركة لديها إلمام جيد في قوانين الهبوط والإقلاع في مطار بغداد، وهي الطائرة الوحيدة التي تتردّد بين بيروت وبغداد.

قلت: أنا أعرف هذه الطائرة، ولكنّنا كنّا نفضّل طائرة أكثر

متانة، وبناءً على اقتراحكم بإمكانية توفُّر ذلك في شركة طيران الشرق الأوسط وإلا فلا مانع لدينا من الاستفادة من طائرة شركة بساط الريح كونها الخيار الأخير المتوفِّر.

قال: بالنسبة للطائرة المتجهة من بيروت إلى لندن فقد حجزنا المقاعد المطلوبة، وتم الحجز من دون إعطاء أسماء على يوم الجمعة المصادف ٢٠٠٤/٨/٦، الإقلاع الساعة العاشرة وخمساً وخمسين دقيقة صباحاً.

قلت: يجب أن ندرس الوقت المستغرق للطيران ما بين بغداد وبيروت، ممّا يتطلّب مراجعة الأمر مع صاحب شركة بساط الريح السيد مازن البساط، كما يستدعي تثبيت الحجز على التاريخ نفسه.

بعد ساعة اتصل بي علي حمد وكان متواجداً في شركة بساط الريح وقال: اتفقت مع الشركة على كل شيء، فقد حجزت الطائرة يوم الجمعة المقبل، وتستغرق الرحلة ساعتين ونصف، إلّا أنّ القوانين المُتّبعة في مطار بغداد لا تجيز نزول الطائرات في المطار قبل الساعة الثامنة صباحاً، كما لا يوجد موظّفون في الجمارك ولا رجال أمن في المطار قبل هذا التوقيت. قلت: وما علاقتي برجال الجمارك والأمن كوني لا أريد النزول داخل المطار؟ قال: لا يمكن البقاء داخل الطائرة وهي متوقفة على أرض المطار لساعة كاملة لأنك وطاقم الطائرة سوف (تُطبخون) من الحرارة، كما أنّ الطيّار يحتاج إلى أن ينزل في المطار قبل نصف ساعة من توقيت فتح المطار التقليدي، فهل تُعطى له إجازة بذلك؟ قلت: سأزوّدك بطريقة التواصل مع المطار كما أنّه هناك شخص مسؤول عن العملية يمكن أن تُرتّب كل الأمور معه، وسألتقيك غداً لأسلّمكَ المعلومات كافة.

ليلاً اتصلت بالسيد محمد رضا وأخبرته بما جرى وبأن الأمور تسير بالاتجاه الصحيح وزوّدتُه بالمعلومات عن الطائرة التابعة لشركة بساط الريح على أن ينقل هذه المعلومات للدكتور موفق الربيعي.

الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الخميس ٢٠٠٤/٧/٣٠ زرت السيد علي حمد في منزله قرب تلفزيون المستقبل في بناية سويس فأبلغني أن صاحب شركة بساط الريح يقول بإمكانية إقلاع الطائرة من بيروت الساعة الخامسة صباحاً على أن تصل إلى مطار بغداد الساعة الثامنة بتوقيت بغداد ثم تقلع من بغداد الساعة الثامنة والنصف لتصل الساعة التاسعة وخمساً وأربعين دقيقة بتوقيت بيروت، مع حساب فارق الوقت بين العاصمتين علماً أنّ موعد إقلاع طائرة الميدل ايست إلى لندن هو الساعة العاشرة وخمسٌ وخمسون دقيقة، وبذلك يتحقق الغرض. والمطلوب منكم هو أخذ الإذن بالهبوط في مطار بغداد بحدود الساعة السابعة والنصف إلى الثامنة والنصف صباحاً.

قلت: سنقوم بذلك إن شاء الله. واتفقنا أن لا نعطي صاحب شركة بساط الريح رمز التخاطب لأنه كان قد أُخبر من قبل (علي حمد) بأنّ هناك وفداً نيابياً مصغّراً يريد أن يأتي من بغداد إلى بيروت فلا ضرورة لإثارة أيّة شكوك.

اتصلتُ بالسيد محمد رضا وأخبرته بالمطلوب ليعالج الموضوع مع الدكتور موفق الربيعي ويعطينا الجواب.

إشكال مع السفارة البريطانية في بغداد:

الساعة الرابعة مساءً من اليوم نفسه اتصل السيد محمد رضا

وبدا مستاءً ومنزعجاً فقد نشأت مشكلة تتعلق بالحصول على تأشيرات الدخول البريطانية، لأن البريطانيين طلبوا التوقيع على استمارات طلب التأشيرة من الأشخاص المعنيين، وكان مكتب سماحة السيد قد أرسل جوازات السفر الأربعة إلى الدكتور موفق الربيعي لمتابعة موضوع التأشيرة مع السفارة البريطانية في بغداد.

جواب مكتب سماحة السيد كان صارماً: إمّا أن تعطى تأشيرات الدخول من دون أيّة إجراءات أو أن تُسحب الجوازات فوراً. اقترح موفق الربيعي أن يُستثنى سماحة السيد والسيد محمد رضا من التوقيع على طلب التأشيرة، وأن يوقّع هو بدلاً عني كوني خارج العراق، أمّا الشخص الرابع وهو الدكتور مجيد المصطفى الموجود في بغداد فيأتي ويوقّع الطلب. ولكن الرأي النهائي كان: إمّا أن تُمنح التأشيرات للجوازات الأربعة مجتمعة من دون أية طلبات وإلّا فالرجاء سحبها وإرجاعها إلينا...

في الساعة الحادية عشرة ليلاً اتصل الدكتور الربيعي وأبلغ السيد محمد رضا أنّ الجوازات سوف ترجع مع تأشيرات الدخول ولا توجد أية مشكلة.

في يوم السبت ٢٠٠٤/٧/٣١، أبْلَغَنا الدكتور موفق الربيعي بأن شركة بساط الريح سوف تُرسل طلباً للهبوط في مطار بغداد في الوقت المحدّد وننتظر أن تصلهم موافقة رسمية من الجهات المعنية.

في يوم الأحد ٢٠٠٤/٨/١ الساعة الحادية عشرة أبلغني السيد محمد رضا أن مطار بغداد لم يتلقَّ إلى الآن أية رسالة من شركة بساط الريح. وأجبته لعل هذا صحيح لأننا أخبرنا الشركة ظهر

السبت، ويوم الأحد هو يوم عطلة رسمية في لبنان، وأعتقد أن إجراءات التخاطب سوف تبدأ من الغد.

سماحة السيد يرفض الانتقال بطيران تابع لقوات الاحتلال:

في الساعة الرابعة عصراً أخبرني السيد محمد رضا بأنّ ثمّة مشكلة رئيسة تتعلق بالكيفية التي ينتقل بها سماحة السيد من النجف إلى بغداد، فالدكتور موفق الربيعي يقول: نحن لا نستطيع أن نؤمّن الطريق البري إلى مطار بغداد خصوصاً وأنّ سماحة السيد وضع قيوداً شديدة على حركة موكبه فهو لم يقبل أن ترافقه أيّة آليات تابعة لقوات الاحتلال، ويقترح الربيعي أن يتم النقل عبر طائرة هليكوبتر. سماحة السيد رفض هذا العرض لأنّ الطيران المتوفّر تابع لقوات الاحتلال، فاقترح الدكتور موفق أن يتمّ رفع علم الدولة المحتلة عن طائرة الهليكوبتر، ولكن سماحة السيد رفض ذلك أيضاً.

المشكلة كانت كبيرة لأنّ منطقة اليوسفية واللطيفية جنوبي بغداد كانتا تشهدان توتراً كبيراً وعنفاً طائفياً لافتاً، ومن غير المنطقي المجازفة بحياة سماحة السيد، لذا تُقرّر أن نتحمل نحن وبإمكاناتنا الذاتية نقل سماحة السيد إلى بغداد، وتكون مهمة الدكتور موفق الربيعي والجهة الرسمية تأمين الوصول إلى المطار والإقلاع بالطائرة. وعلى هذا الأساس تمّ إبلاغ الدكتور موفق الربيعي الساعة التاسعة والنصف ليلاً بأننا لن نستخدم الطيران المروحي للوصول إلى بغداد وإنّما سنعتمد على طرقنا الخاصة.

في هذه الأثناء كنت أمارس نشاطي المعتاد في بيروت بشكل عادي، كما أن مكتب سماحة السيد السيستاني في النجف كان يمارس نشاطه المعتاد من دون أية إثارة.

ففي يوم الإثنين المصادف ٢/٨/٢٠٠٤ أصدر مكتب سماحة السيد السيستاني في النجف الأشرف بياناً أدان فيه الاعتداءات على الكنائس في بغداد والموصل وقمنا بتوزيعه على الصحافة العالمية (انظر الوثيقة رقم ٦)، كما أدليتُ بتصريح لإذاعة لندن حول الموضوع.

في الساعة السادسة والنصف من مساء اليوم نفسه اتصل السيد محمد رضا وقال: حدثتْ مواجهات مسلّحة بين قوات الحرس الوطني وجيش المهدي بالقرب من منزل السيد مقتدى الصدر في حدود حي الزهراء والمواجهات مستمرة، والوضع متوتّر وإذا تفاعلت المسألة يمكن أن نلغي كل العملية، نأمل أن تكون المسألة عابرة كسابقاتها.

في الساعة الثامنة مساءً قررت الاتصال بالسيد حسين الأسدي الشخص المعيّن لرعاية (عملية نقل العائلة) لأنني لا أريد أن أُعطي هذه المعلومات إلى صاحب شركة بساط الريح فكان لزاماً أن أحصل على بريده الإلكتروني لأعطيه إلى صاحب الشركة وأوضح له أن الشركة المعنيّة لا تعرف تفاصيل الموضوع. وبالفعل اتصلتُ بحسين الأسدي وعرّفتُ عن نفسي باسم مستمار هو (فائز شاكر) وأخذتُ بريده الإلكتروني وقلت له: ستخاطبكم شركة بساط الريح عليه وتطلب منكم الإذن بالهبوط في ساعة محدّدة من صباح يوم الجمعة والمطلوب هو إعطاؤهم الموافقة، فأبدى استعداده التام لذلك.

في يوم الثلاثاء ٢٠٠٤/٨/٣، وصل السيد جواد الشهرستاني ومعه السيد محمد علي الرباني إلى لندن، وعَنْوَن السيد جواد سفره إلى لندن بإجراء فحوصات طبية لأنّه مصاب بمرض السكري وبشكل متقدّم. وكان الاتفاق أن يقوم السيد جواد الشهرستاني والسيد مرتضى الكشميري بتهيئة مستلزمات الدخول إلى المستشفى والمنزل الذي سيقيم فيه سماحة السيد والوفد المرافق.

صباحاً، اتصلت بالدكتور موفق الربيعي وأبلغته أن سماحة السيد السيستاني لا يرغب بإجراء أية لقاءات بالمسؤولين في لندن كما لا يرغب بأي تواجد لرجال الأمن البريطاني في محل إقامته، وطلبت منه إبلاغ هذه المعلومات للبريطانيين.

فكان ردّه أن الطلب الأول منطقي وسوف يبلغهم، ولكن الطلب الثاني يتناقض مع مسؤوليتهم في حفظ أمن سماحة السيد. فأجبته: «بإمكانهم تأمين المراقبة الأمنية خارج محيط المنزل الذي سيقيم فيه سماحة السيد». فطلب عندئذ عنوان المنزل والمستشفى، فأوعدته بأنني سأزوده بالعناوين خلال اليومين المقبلين.

و تجدر الإشارة هنا إلى أنه ـ وكما رغب سماحة السيد ـ لم يتم أيّ لقاء لسماحته أو لأيّ من مرافقيه مع أيّ مسؤول بريطاني في أيّ مستوى، خلافاً لبعض الشائعات التي يتداولها بعض المغرضين.

في الساعة الثانية عشرة ظهراً اتصلتُ بحسين الأسدي مستفسراً عن وصول الرسالة من شركة بساط الريح فأجابني بالإيجاب وأنهم سيردون عليها.

في الساعة الثامنة مساءً أخبرني الأسدي بأنه تمت الموافقة على هبوط طائرة شركة بساط الريح من الساعة السابعة فما بعد من صباح يوم الجمعة المقبل، وبالفعل بعد مضي ربع ساعة اتصل بي علي حمد ليؤكّد وصول الإذن بالهبوط بالتاريخ المحدّد إلى الشركة المذكورة وأن كل شيء يسير وفق الخطة المرسومة وأشار إلى حاجته إلى أسماء المسافرين خصوصاً بالنسبة إلى شركة الميدل ايست اللبنانية، فأجلتُ الموضوع إلى ما بعد.

في الساعة الثامنة والنصف اتصلت بالسيد محمد رضا وأخبرته بما جرى من الصباح حتى المساء، وقرأت له نصاً مقترحاً كنت قد أعددتُه لتسريب خبر توعّك سماحة السيد على أن يُنشر يوم الخميس المقبل أي قبل الرحلة بيوم واحد وأبديتُ له هواجسي وخشيتي بأن يُخترق الكتمان المطلوب.

السرية الكاملة... لماذا؟

لعل القارئ الكريم يلاحظ أننا ركّزنا على السريّة المطلقة في كل تفاصيل التخطيط للرحلة، والسبب في ذلك، أن الهاجس الأمني كان يحيط بتفكيرنا من كل الاتجاهات. فالمعلومات السابقة التي كانت تصلنا باستمرار بأنّ حياة سماحة السيد في خطر، وهو مستهدف بشكل دائم، حتّمتْ علينا هذا النوع من التصرف. والطريق من النجف إلى بغداد غير آمن وأيّ تسريب للخبر يجعل الوصول إلى بغداد صعباً للغاية والطريق إلى المطار بحد ذاته محفوف بالمخاطر، ولو أُعلن عن الرحلة قبل موعد السفر فإنّ مطار بغداد قد يتعرّض

للقصف من قبل الجماعات الإرهابية لأنّه أصلاً في منطقة غير آمنة. وكان هاجسنا الوحيد أن يصل سماحة السيد بسلام إلى مقصده، وهذا الأمر مُقدَّم على كل الاعتبارات.

هذا هو أحد الأسباب الرئيسة التي جعلتنا لا نفكر بأي استقبال شعبي أو رسمي في مطار بيروت حتى بصورة محدودة، لأن إخبار الفعاليات الدينية والرسمية والشعبية اللبنانية يُفترض أن يتم قبل يومين على أقل تقدير، وبذلك سوف يُعرف أنّ سماحة السيد متوجّه إلى بيروت عبر مطار بغداد، ونكون هنا قد وقعنا في المحظور. والأصوات التي تحدّثت عن الاستقبال الذي حصل للسيد الخوئي (قدس) في مطار بيروت، وقارنوه بالعبور السرّي لسماحة السيد السيستاني لم تكن منصفة وجانبت الموضوعية. فالظروف مختلفة كلياً، والاعتبارات التي حكمتْ تصرّفنا مغايرة عن تلك التي مرّ بها السيد الخوئي (قدس).

متابعة الإعداد للسفرة

في الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح يوم الأربعاء ٤/ ٨/ ٢٠٠٤، التقيت السيد علي حمد ووضعنا اللّمسات الأخيرة، وتأكّدتُ من موعد إقلاع الرحلة المتّجهة إلى لندن الساعة العاشرة وخمساً وخمسين دقيقة من صباح يوم الجمعة، ووصولها في الساعة الثانية ظهراً بتوقيت لندن، وكان رقم الرحلة ٢١٥. كما دفعت له مبلغ إثني عشر ألف دولار أمريكي هو أجرة طائرة (بساط الريح)، ذهاباً وإياباً، بيروت ـ بغداد ـ بيروت.

في الساعة الثانية عشرة ظهراً التقيت الرئيس نبيه بري وتداولنا بآخر ما توصلنا إليه، وأخبرني بأنه سيكون في مطار بيروت الساعة التاسعة والنصف من صباح يوم الجمعة، ليطمئنَّ على الترتيبات كافة الخاصة بقاعة الشرف، وانتقال سماحة السيد إلى طائرة الميدل ايست المتجهة إلى لندن.

في الساعة الثانية ظهراً اتصلت بالسيد محمد رضا السيستاني وأخبرته بأن الأمور تسير بشكل طبيعي واتّفقنا أن يُسرّب خبر الوعكة الصحية بتصريح منّي بعد ظهر غدٍ الخميس، خصوصاً وأنهم سيغادرون النجف ظهر الخميس ليبيتوا ليلتهم في بغداد وينطلقوا صباح الجمعة إلى المطار. وأبديتُ قلقي بالنسبة للوضع الأمني في الطريق إلى بغداد، فأخبرني بأنّ ثمّة إجراءات ذاتية مُتّخذة وأنهم قد يسلكون طريقاً غير الطريق المعتاد، هو أطول مسافة ولكنه أكثر أمناً.

الساعة الثالثة عصراً اتصلتُ بالسيد جواد الشهرستاني في لندن فأخبرني بمساعيه ومساعي السيد مرتضى الكشميري لتأمين المنزل المناسب، بعد أن تمّ الاتفاق على أن تُستأجر شقة يقيم فيها سماحة السيد، مقابل مُقترحات كانت قد رُفضت من قبل سماحته كأن يقيم في منازل بعض الوجهاء من المؤمنين، أو في بعض المراكز الإسلامية.

في الساعة الخامسة والنصف عصراً اتصلت بالدكتور موفق الربيعي وأكّدتُ عليه مواعيد الهبوط والإقلاع وضرورة ترتيب شؤون الدخول إلى مطار بغداد، وحدّثني ـ بما أعرفه ـ من أن السيد

محمد رضا تكفّل بنقل سماحة السيد من النجف إلى بغداد بإمكاناتهم الخاصة وعندما يصلون إلى بغداد سيرافقهم إلى المطار.

ليلاً، اتصلت بالسيد محمد رضا فأخبرني بأنه أخبر مراجع الدين في النجف حفظهم الله بموضوع سفر سماحة السيد.

خروج سماحة السيد من النجف:

في الساعة التاسعة والنصف من صباح يوم الخميس ٥/٨/ ٢٠٠٤، اتصل السيد محمد رضا وقال: على حين غِرّة، اشتعلت المعارك منذ فجر اليوم بين جيش المهدي وبين القوات الأميركية، الوضع سيء، ولا أدري إلى أين يتجه، يمكن أن نلغي العملية كلّها.

اتصل بي الساعة الثانية عشرة ظهراً وقال: الوضع يسوء أكثر، مدينة النجف أصبحت مدينة أشباح، سوف نفعل المستحيل من أجل أن ننقل سماحة السيد، ولكن احتمال إلغاء الرحلة أصبح أكثر جدية، لأن الوضع الأمني لا يسمح بالتحرك الطبيعي.

أكّدتُ على السيد محمد رضا أن يحاولوا بشتى الطرق الانتقال بسماحة السيد، وأن تتم الرحلة حسب مواعيدها، لأن خياراتنا محدودة. فسماحة السيد دخل الفترة الحرجة التي حدّدها الأطباء لضرورة إجراء عملية القسطرة، والمعارك يُمكن أن تتوقف ويمكن أن تستمر، وإن كان أغلب الظن أنها ستتوقف ولكن إذا استمرّت قد لا يتيسر آنذاك إخراج سماحة السيد، ولا يقبل عاقل أن نجلس مكتوفي الأيدي بينما قد يتعرّض سماحة السيد لنكسة قلبية في أيّ وقت، كما قال الأطباء. وإذا انتكس سماحة السيد ماذا نفعل؟ أين يمكن أن

يُنقل في مثل هذه الظروف؟؟ ثم إن ترتيب الإجراءات ومواعيد الرحلات وبالشروط التي قَيّدَنا بها سماحة السيد، ليس أمراً يُمكن القيام به بعد يوم أو يومين!!

الساعة الواحدة ظهراً التقيت الرئيس بري، وأخبرتُه بالعوائق الحاصلة وإمكانية إلغاء العملية كلّها، واتفقنا على أن نستمرّ بالأمر من جهتنا. أذهب أنا بالطائرة وننتظر في مطار بغداد، حتى لو رجعت من دون سماحة السيد، بمعنى أننا نلاحق احتمال الانتقال بسماحة السيد إلى آخر ساعة.

قلق وتوتر

منذ الساعة الثانية ظهراً انقطعت وسائل الاتصال بالسيد محمد رضا، فرقم هاتفه (الثريا) لا يرد، والبدالة في مكتب سماحة السيد لا خبر لديها عنه، وأنا لا أريد أن أُحدثهم بأية خصوصيات. كانت الدقائق تمرّ ثقيلة، والتوتّر يتملّكني، لا أدري ماذا يحصل هناك؟

مرّت ثلاث ساعات كأنها ثلاث سنوات. كلّ الاحتمالات واردة، بما في ذلك تعرّض سماحة السيد للخطر، خصوصاً وأنّ وسائل الإعلام كانت تنقل أخبار المعارك الضارية في النجف.

لم يُبدّد غيوم القلق سوى اتصال تلقيته عند الساعة الخامسة مساءً من السيد محمد رضا ليخبرني أنهم خرجوا من النجف، وأنّ الأمور إلى الآن (ماشية) وأنهم في الطريق إلى بغداد، وهم بحاجة للدعاء.

جاءني اتصال من حسين الأسدي المسؤول عن غرفة العمليات في بغداد ليؤكّد أنهم جاهزون غداً لاستقبال طائرة بساط الريح من الساعة السابعة صباحاً وأنهم سيكونون باستقبالنا.

في حدود الساعة التاسعة مساءً اتصل السيد محمد رضا ليؤكّد أنهم وصلوا إلى بغداد. سألتُه عن وضع إقامتهم هذه الليلة، وهل هم مطمئنون؟ أجابني أنهم يبيتون الليلة في بيت أحد الأصدقاء، وستكون الأمور على خير إن شاء الله.

السيد محمد رضا السيستاني يتحدث عن كيفية مغادرتهم النجف:

عندما عزمتُ على تدوين هذا الكتاب طلبتُ من الأخ سماحة السيد محمد رضا السيستاني في يوم الاربعاء ٢٠٠٥/٦/١ أن يكتب لي مجريات ما حدث من خروج سماحة السيد من النجف حتى وصوله إلى بغداد فزوّدني بالنص الآتي:

(لما رفضْنا العرض الذي تقدّم به الدكتور موفق الربيعي لنقل سماحة السيد دام ظله بطائرة عمودية إلى بغداد وقلنا له: إنّ سماحة السيد يرفض ركوب الطائرة الأميركية وإنْ لم تحمل علامة خاصة بالأمريكيين ويكون الملّاح عراقياً. فقال لنا بأنه لا يمكن للحكومة العراقية تأمين موكب سماحة السيد إلى بغداد لأنّ طريق النجف ـ الحلة ـ بغداد خطر جداً، كان جوابنا أننا سننتقل إلى بغداد عن طريق البر على مسؤوليتنا، وعند ذاك قررنا أن ننطلق إلى بغداد قبل موعد الإقلاع من مطارها بيوم واحد.

ولهذا الغرض اتفقنا مع أحد الأصدقاء وسائقَيْ سيارتَيْ أجرة للسفر بعد ظهر يوم (الخميس)، ولكن بدأتْ الاشتباكات المتقطّعة بين عناصر جيش المهدي والقوات الأمريكية منذ منتصف الليل، واشتدّت شيئاً فشيئاً حتى انقطع الطريق بين النجف والكوفة، وكذلك الطريق بين النجف وكربلاء، وتوسّعت حتى شملت معظم جوانب المدينة قبل ظهر ذلك اليوم، وبدأت تراودنا شكوك جدية في إمكان الخروج من النجف بعد الظهر كما كان مقرراً، واتصلت بالأستاذ حامد الخفاف تليفونياً لأخبره بالحال واحتمال إلغاء الرحلة أو تأجيلها.

ولكن وردنا بعض الأخبار بأن الطريق الجنوبي بين النجف والحيرة لا يزال مفتوحاً وأن الاشتباكات في ذلك الجانب من المدينة متفرّقة، فقرّرنا في الساعة الثانية بعد الظهر استدعاء السيارتين للخروج من النجف، وجاءت إحداهما قريب الساعة الثالثة ولم يتيسر ذلك للسيارة الثانية بسبب انقطاع الطرق فاستعنّا بسيارة أخرى لم تكن مهيأة من حيث التزود بالوقود الكافي لطي المسافة إلى بغداد ولكن لم نجد بدًا من ركوبها، فخرجنا في ثلاث سيارات من جهة شارع السور قريباً من جامع الطريحي واخترقت السيارات شوارع منطقة الجديدة، والإطلاقات النارية تنهمر من كل صوبٍ وجِهة وأحياناً من فوق رؤوسنا إلى أن وصلنا إلى شارع أبو صخير، وخرجنا من المدينة فسلكنا الطريق إلى الحيرة ثم أبو صخير ثم الشامية ثم الديوانية ثم الدغّارة ثم الشوملي ثم النعمانية ثم الحفرية وجرف النداف ثم دخلنا بغداد بعبور جسر ديالى القديم، واستمرت الرحلة قرابة ست ساعات.

وفي أثناء الطريق نفذ وقود إحدى السيارات وكان فيها عدد من الحراس فاضطُرت إلى التوقف إلى أن تيسّر لها شراء كمية من الوقود ولكنها لم تلتحق بنا إلّا بعد الوصول إلى بغداد والنزول فيها.

وفي أثناء الطريق أيضاً توقّفنا في جنب أحد المعامل القريبة من الشارع العام لاستخدام مرافقها الصحيّة.

وصلنا إلى بغداد وظلام الليل يعمّ كل مكان، ونزلنا في دار أحد الأصدقاء في شارع فلسطين، وقضينا تلك الليلة فيها، واتصلت بعد وصولنا بالدكتور موفق الربيعي تليفونياً وأخبرته بوجودنا في بغداد فاستغرب ذلك. وفي الصباح اتصلت به ثانية وأخبرته بعنوان الدار فجاء ملثّماً في سيارة أُجرة وانتقلنا بسياراتنا إلى مطار بغداد، وكانت سيارة الدكتور الربيعي أمامنا إلى أن وصلنا المطار فوجدنا طائرة شركة بساط الريح والأستاذ حامد الخفاف بانتظارنا[١]).

انتهى كلام السيد محمد رضا السيستاني (انظر الوثيقة رقم ٧).

□□□

أخبرت علي حمد بأنّ كل شيء جاهز، وأخبرني أن غرفة العمليات في مطار بغداد اتصلت بالسيد مازن البساط وأكّدت له

---

(١) من الجدير ذكره أن الاخوة الذين رافقوا سماحة السيد من النجف إلى بغداد هم: فضيلة السيد محمد آل يحيى، محمد خضر، يعقوب يوسف التميمي، لطيف عبد الله حمزة، زهير عبد الكريم ابراهيم، ستار محسن، جاسم نايف، أحمد هلال، أحمد عسكوري.

جاهزيّتهم لاستقبال الطائرة بالموعد المحدّد، وأن السيد مازن يفضّل أن يقدّم موعد الإقلاع ساعة احتياطاً، بحيث تكون في مطار بيروت الساعة الثالثة فجراً لتُقلع الطائرة الساعة الرابعة فجراً فتصل مطار بغداد الساعة السابعة صباحاً، بتوقيت بغداد، وبذلك تكون الطائرة جاهزة للرجوع إلى بيروت في حدود الساعة الثامنة صباحاً. فأبديتُ استعدادي لأكون في مطار بيروت الساعة الثالثة فجراً.

اتصلت بالسيد جواد الشهرستاني إلى لندن، وأخبرته بأن الأمور تسير وفق الخطة المرسومة، فاقترح السيد الشهرستاني نقلاً عن السيد الرباني بأن يأتي بعض الشخصيات من الخوجة ـ وهم من شيعة الهند والباكستان الذين قطنوا أفريقيا وأوروبا ـ وبعض العلماء العراقيين لاستقبال سماحة السيد في مطار لندن، وكلمني السيد الرباني أيضاً بهذا الخصوص، فأجبته أن سماحة السيد لن يقبل ولكنني سأنقل الاقتراح. هاتفتُ السيد محمد رضا حدود الساعة العاشرة ليلاً واطمأننت على استقرارهم ونقلت له المقترح. فقال: سماحة السيد لا يقبل عادة، ولكن سأتصل بك بعد نصف ساعة. وبالفعل اتصل بي بعد فترة ليؤكّد أنّ سماحة السيد يقول: «أحبُّ إلى قلبي أن لا يأتوا، ليأتوا فيما بعد إلى محلّ الإقامة».

وعقّب السيد محمد رضا: ما فائدة الأمر؟ إذا كان الهدف إبراز مكانة المرجعية يُفترض أن يسمح بأن يكون الاستقبال عاماً، ثم كيف يُدعى أشخاص دون أشخاص؟ أخبرتُ السيد جواد الشهرستاني بالأمر وكان رأيه يطابق رأينا.

وفي المساء أدليتُ بتصريح لوكالة رويترز، سرّبت فيه خبر

الوعكة الصحية التي تلمّ بسماحة السيد. قلت فيه: «إنّ سماحة السيد السيستاني يعاني من اضطرابات في القلب، وقد ألغى جميع مقابلاته في الأسبوع الماضي، وهناك فريق من الأطباء المراقبين يتولّون العناية به».

وكم كان حَرَجي شديداً عندما جاءتني اتصالات عديدة في تلك الليلة من قبل شخصيات مرموقة، أكنُّ لها كل الاحترام والتقدير، تستفسر عن صحة سماحة السيد، بعد أن سمعوا ذلك من وسائل الإعلام، أذكر ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ سماحة الشيخ عبد الأمير قبلان نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وسماحة الشيخ مفيد الفقيه، وسماحة الشيخ علي الكوراني، وآخرين، ولم يكن باستطاعتي أن أخبرهم عن سفرنا المقرّر بعد ساعات.

كان يومي مضنياً من الصباح الباكر وحتى الليل. وبما أنه تحتّم علَيّ التواجد في مطار بيروت الساعة الثالثة فجراً، فلم تكن هناك أية إمكانية للنوم. كانت الأفكار تأخذني يميناً وشمالاً، فالأمانة ثقيلة، وسوف لن يغفر لنا التاريخ إن حدث إشكال ما. هل سننجح؟؟ هل ستحدث عوائق؟؟ ماذا لو لم يستطع سماحة السيد الوصول إلى مطار بغداد نتيجة إشكالات أمنية؟؟ هل هذه الطائرة التي سأنتقل بها إلى مطار بغداد ستؤدي الغرض من دون مشاكل؟ هل تقنيات الأمن فيها كاملة؟ لم أكن أغالب النعاس لأنه لم يجد له محلاً في رأسي ومستوى التوتّر والتحفّز عندي كان قد بلغ أقصى درجاته، تلك الساعات القليلة كانت مرهقة جداً. فالليل بطبيعته الهادئة الساكنة يجعلك تعيد سرد الوقائع. كنت أفكر بكل التفاصيل

مرة بعد أخرى خشية أن يكون ثمّة ما يعيق إتمام الرحلة بشكل صحيح. لعلني استذكرت امرئ القيس ومعلّقته الشهيرة ومُكابدته مع ليله:

وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله ... عليّ بأنواع الهمــــوم ليبتلـــي

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلــي ... بصبح وما الإصباح منك بأمــثل

يوم السفر إلى لندن

في الساعة الثانية والنصف من فجر يوم الجمعة ٦/٨/٢٠٠٤، توجهت إلى مطار بيروت. الأخوة الذين يعملون معي في المكتب أوصلوني إلى المطار وهم لا يعرفون من الأمر شيئاً، إمعاناً في السرية المطلقة. وكان بانتظاري في المطار السيد مازن البساط صاحب شركة الطيران مع موظّفة لديه، وبدأوا بترتيب إجراءات السفر.

كنت المسافر الوحيد على الطائرة، وكان السيد علي حمد قد أفهم مازن البساط أنني ذاهب إلى بغداد لأعود مع وفد برلماني عراقي مُصغّر إلى بيروت. طاقم الطائرة يتكون من ثلاثة أفراد هم: الطيّار (حسام) ومساعده، ومضيفة.

عندما صعدت الطائرة اضطررتُ أن أحني رأسي لأن سقفها منخفض، وهي صغيرة الحجم، تحتوي على ستة عشر مقعداً حديدياً. لوهلة تملّكني نوع من الاضطراب دفعني أن أسأل الطيّار حساماً عن متانة الطائرة، فتبسّم قائلاً: لا تخف هذه طائرة صغيرة وخفيفة وقوية في نفس الوقت، ونحن نقوم برحلات عديدة في منطقة الشرق

الأوسط، إلى العراق وتركيا ومصر، وفي الفترة الأخيرة نتردّد كثيراً على بغداد، فحمدت الله على كل حال.

في مطار بغداد:

الساعة الرابعة وعشر دقائق أقلعت الطائرة من مطار بيروت، وهبطنا في مطار بغداد الساعة السابعة وسبع دقائق. المُلْفِت أنّ هبوط الطائرة كان هبوطاً حلزونياً، لأنّ محيط مطار بغداد غير آمن.

استقرّت الطائرة على أرض المطار، وترجّلنا منها، فلم نجد أحداً، كان المطار خالياً، أجَلْتُ النظر يميناً وشمالاً ثم رفعتُ رأسي وحدّقت بعين الشمس، هذه سماء بغداد ما أحلاها! الشمسُ في بلادي أجمل من أي شمسٍ أخرى. الهواء كان طليقاً، وكنت أُعبّئه في صدري كما لو كنت مريضاً شفي لتوّه من داء الخناق.

ما هذا الحلم الجميل؟ هذا صُبْح بغداد، وهذه شمسها. وتمتمت بأبيات السيد مصطفى جمال الدين:

بغداد ما اشتبكت عليك الأعصر   إلا ذَوَتْ ووريق عمرك أخضرُ

مرّت بك الدنيا وصبحك مشمس   ودَجَتْ عليكِ ووجه ليلك مُقْمِرُ

بقينا واقفين لمدة خمس دقائق تقريباً لم نشاهد خلالها أحداً، فقررنا بعدها التوجه إلى بوابات المطار، مشينا مسافة مئتي متر تقريباً حتى وصلنا إلى الأبواب فكانت مغلقة. اليوم يوم الجمعة، والمطار أساساً لا يفتح قبل الساعة الثامنة صباحاً، وإنما أخذنا إذناً

بالهبوط بشكل خاص. قررنا مواصلة السير باتجاه بوابات أخرى، لعلنا نجد فيها من يستقبلنا. الأبواب الأخرى كانت مغلقة أيضاً. في هذه الأثناء وصلت سيارة جيب عسكرية يقودها جندي أميركي، طلب منا العودة إلى الطائرة والانتظار إلى جانبها وأخبرنا أن أبواب المطار مغلقة، ولا يوجد أحد هنا.

هذا الموقف أيقظني من حُلمي الجميل، ليضعني أمام كابوس الحقيقة، الحقيقة المُرّة. نحن شعب محتلّ، والمطار بيد قوات الاحتلال، وسوف لن أجد هنا من أبناء جِلدتي من يستقبلني بكلمة (يا هلا ومرحبا)، ما أقسى الزمن! وما أبشع الدكتاتور المخلوع الذي أسقط (العراق) وشمسه المتألّقة أسرى بيد الغرباء!

كمن لاحول ولا قوة له، رجعنا إلى جوار الطائرة، نستظلُّ بفيئها من حرارة الشمس التي بدأت بالارتفاع، واغتنمتُ فرصة الانتظار لأفكّر بالمكان المناسب لجلوس سماحة السيد عند وصوله، فطلبتُ من المضيفة نقل صندوق من فِلّين فيه مستلزمات الضيافة من مؤخرة الطائرة إلى مقدّمها، وأخبرتها بأنّ الركّاب ليسوا بحاجة إلى ضيافة، وأنهم سيجلسون في المقاعد الخلفية، وأنا سأجلس في الوسط، وإذا احتاجوا لأي شيء سأطلب منك ذلك، وتمنّيتُ عليها أن تلزم مقعدها في الأمام، وأنني سأقوم بواجب الضيافة لو تطلّب الأمر ذلك، وعلّلتُ الأمر بوجود بعض المرضى بين المسافرين الذين يحتاجون إلى عناية خاصة.

طال انتظارنا حدود الساعة والربع، اتصلت خلالها من هاتف الطيار حسام بالدكتور موفق الربيعي الذي أخبرني أنهم في الطريق

إلى المطار. كان القلق قد بدأ يدبُّ في نفسي. اللحظات المقبلة حاسمة جداً، وعلى ضوئها تُحسم مسألة نجاح الرحلة أو فشلها.

في حدود الساعة الثامنة وعشرين دقيقة، لاح من بعيد موكب من السيارات يتّجه نحونا، كان الموكب يتألّف من ثلاث سيارات. توقّف الموكب على بعد عشرة أمتار من الطائرة، ترجّل سماحة السيد السيستاني دام ظله ونجله السيد محمد رضا من إحداها، فتوجّهتُ إليهم وقبّلت يد سماحة السيد وعانقتُه وحمدتُ الله على سلامته، وسلّمت على شباب الحماية، وصعد سماحة السيد ونجله السيد محمد رضا والدكتور مجيد المصطفى إلى متن الطائرة، وجلسنا وفق ما اتفقتُ عليه مع طاقم الطائرة.

في الساعة الثامنة والنصف صباحاً، أقلعت الطائرة من مطار بغداد باتجاه بيروت. طيلة فترة الرحلة التي استمرت أكثر من ساعتين، كان سماحته هادئاً متأملاً، ولم يتناول طعاماً أو شراباً، وراح السيد محمد رضا يحدّثني عن معاناتهم في الخروج من النجف والوصول إلى بغداد.

في مطار بيروت

هبطت الطائرة في حدود الساعة العاشرة صباحاً في مطار بيروت. الرئيس نبيه بري وإلى جانبه العميد شقير، مدير أمن المطار، كانا باستقبال سماحة السيد. صعد الرئيس بري الطائرة وسلّم على سماحته وأنزله من الطائرة واصطحبنا إلى قاعة الشرف، وأمر بإغلاق الأبواب والستائر.

رحّب الرئيس بري بسماحة السيد باحترام وأدب كبيرين، وأبدى تمنياته لسماحة السيد بالشفاء ورغبته في أن يتطبب سماحته في بيروت لولا الموانق الخاصة. فشكره سماحة السيد على عواطفه، وذكر حبه الشديد للبنان، ولجبل عامل خصوصاً، وتقديره لعلمائه، وتحدث عن الشهيد الأول والشهيد الثاني، ثم تحدث الرئيس بري عن الموضوع العراقي فأشاد بمواقف سماحة السيد، وضرورة أن تلتزم بها كافة الفصائل والأحزاب والفئات لأنها الضمان الوحيد لوحدة الشعب العراقي بعربه وأكراده وكافة طوائفه. ثم سأل عن السيد مقتدى الصدر، فوضّح سماحة السيد جانباً من استقباله له، والنصائح التي وجهها إليه، خصوصاً حول ضرورة أن يشارك التيار الصدري في الانتخابات، وأن يكون فاعلاً في العملية السياسية، وأهمية أن يكون له دور في رسم مستقبل العراق السياسي.

قدموا لنا ضيافة، شاي وعصير برتقال، فلم يتناول سماحة السيد شيئاً، ثم جدّد سماحة السيد وضوءه في المغاسل، وتهيأ للمغادرة.

الفترة التي قضيناها في مطار بيروت كانت بحدود خمساً وأربعين دقيقة تقريباً، رافقنا بعدها الرئيس بري إلى داخل طائرة الخطوط الجوية اللبنانية المتجهة إلى لندن، وودّع سماحة السيد، ثمّ أقلعت الطائرة بحدود الساعة الحادية عشرة صباحاً.

لماذا الرئيس نبيه بري؟

دار جدل واسع، في الصحافة[1]، وفي الأوساط الشعبية

(١) راجع على سبيل المثال لا الحصر ما كتبه قاسم قصير في جريدة المستقبل العدد ١٦٦٥، ٢٠٠٤/٨/٧.

اللبنانية عن سبب انفراد دولة الرئيس نبيه بري رئيس مجلس النواب اللبناني دون غيره باستقبال سماحة السيد السيستاني دام ظله. وذهبت التحليلات منحىً خارج السياق الطبيعي، وحُمّلت المسألة أكثر مما تحتمل.

والحقيقة أن رغبتنا كانت في أن نهيّئ استقبالاً شعبياً ودينياً ورسمياً عاماً لسماحة السيد، وهذه الرغبة اصطدمت بعقبات عديدة، منها: مزاج سماحة السيد القائم على أساس الزهد والابتعاد عن المظاهر، واعتبار هذه الأمور مسائل شكلية لها طابع دنيوي، إضافة إلى المشكلة الأمنية التي كانت ضاغطة علينا لأن أي إعدادٍ لاستقبال كبير في بيروت، كان يعني شيوع خبر مغادرة سماحة السيد عبر مطار بغداد، وهذا إشكال أمني كبير. ولذلك تقرر إلغاء أي استقبال في مطار بيروت.

وعندما تقرر أن ينتقل سماحة السيد للعلاج إلى لندن عبر بيروت، كان لزاماً أن يتم التنسيق مع أحد رموز الدولة اللبنانية، إذ أن دقّة العملية وخصوصيتها وسرعتها تفترض ذلك، وكان من الطبيعي أن يتم التنسيق مع دولة الرئيس نبيه بري لأسباب عديدة، منها:

١ ـ هو الشخصية الرسمية الشيعية الأولى في لبنان.

٢ ـ إنه يبدي احتراماً كبيراً لسماحة السيد واهتماماً بالغاً به.

٣ ـ قدرته ـ بحكم موقعه ـ على التصرف بمفرده، من دون إخبار أية أجهزة، وهذا يساعدنا في الحفاظ على السرية المطلوبة.

لسماحة السيد السيستاني وكلاء محترمون في لبنان، كما أن للشخصيات الدينية في لبنان مكانة خاصة في قلب سماحة السيد، وعدم إخبار هؤلاء كان يحزّ في نفوسنا، وحضور الرئيس نبيه بري في مطار بيروت لم يكن استقبالاً انفرد به، لأن هذا المعنى يتعارض مع أبوة المرجعية العليا للجميع، وإنما حضور استلزمته مقتضيات إتمام الرحلة من دون أي مشاكل.

وللحقيقة، فقد كان الجهد الذي بذله الرئيس بري مميزاً وفاعلاً وأساسياً في إكمال الرحلة بنجاح في ظروف بالغة الدقّة والحساسية من النواحي الأمنية والسياسية.

الفصل الثاني

سماحة السيد السيستاني (دام ظله) في لندن
العلاج، ومتابعة أزمة النجف

استمرت الرحلة من بيروت إلى لندن حوالي خمس ساعات، كان فيها سماحة السيد مستيقظاً، عرفت فيما بعد أنه من الأشخاص الذين لا يستطيعون النوم بتاتاً في السيارة أو الطائرة. في كل حركة وسكون وتصرف لسماحة السيد، كانت تتأكد عندي حقيقة أن هذا الرجل يؤسس مفاهيمه وحياته على البساطة والعفوية وعدم التكلّف والزهد الواقعي.

في حدود الساعة الثانية ظهراً هبطت طائرة الخطوط الجوية اللبنانية في مطار هيثرو، وكان باستقبالنا مجموعة من السادة، أذكر منهم: السيد جواد الشهرستاني والسيد مرتضى الكشميري والسيد محمد علي الرباني وبعض العاملين في مؤسساتنا في لندن. وكنا قد اشترطنا على البريطانيين أنّ تنقّل سماحة السيد والوفد المرافق سيكون بعهدتنا، وأنه سوف لن يركب أي سيارة تُوفّرها الحكومة البريطانية، وبالفعل فقد أُجيزت سيارات تابعة لنا أن تدخل المطار، توجّهنا بعدها إلى المنزل الذي أقمنا فيه، وهي شقة استؤجرت في وسط لندن.

في الطريق إلى المنزل عرفتُ أنّ خبر الرحلة قد أُذيع في وسائل الإعلام، وأنّ الدنيا ضجّت وعجّت به. وكنا قد خططنا أن

نُعلن خبر الرحلة بعد الوصول إلى لندن، ولكن الخبر تسرّب من بيروت، والساعات الخمس التي قضيناها في الطائرة هي فترة طويلة كي ينتشر الخبر في أرجاء المعمورة، والبيان الذي أعددناه سابقاً على أن يُنشر فور وصولنا إلى لندن لم يعد مفيداً، باعتبار شيوع الخَبَر، ولكننا فضّلنا نشره، لوضع الحقائق في نصابها الصحيح، خصوصاً وأنّ شيوع الخبر رافقته حملة ظالمة شكّكت بأسباب الزيارة بشكل تجاوز اللياقات العامة والأصول.

ونص البيان هو:

«ألمّت بسماحة السيد السيستاني ـ دام ظله ـ مؤخّراً وعكة قلبية وقد استُدْعي فريق من اختصاصيي القلب المراقبين إلى النجف الأشرف للتشخيص والمعالجة.

ووفقاً لما ارتآه الفريق الطبي فقد تقرّر متابعة الإجراءات الطبية اللازمة في إحدى المستشفيات المتخصّصة في المملكة المتحدة، وقد وصل إليها سماحته مساء هذا اليوم.

نرجو من المؤمنين الكرام أن لا ينسوا سماحته من صالح الدعاء في مظان الإجابة كما لا ينساهم إن شاء الله تعالى». (انظر الوثيقة رقم ٨).

بعد ساعة من وصولنا إلى المنزل، جاء الدكتور هشام الحسن مع فريق طبي وعاينوا سماحة السيد وأجروا له بعض الفحوصات الأولية ـ والدكتور هشام هو شخصية طبيّة عراقية مرموقة في لندن، يمارس نشاطه الطبي في مستشفياتها ـ وعقدوا جلسة عمل مع الدكتور مجيد المصطفى، تمّ الاتفاق خلالها على أن يدخل سماحة السيد المستشفى غداً، ليبدأوا الإجراءات اللّازمة.

نحن والصحافة:

كانت نشرات الأخبار الرئيسية في الفضائيات العربية تنقل خبر الرحلة بشكل سلبي جداً. وفي وقت كانت المعارك محتدمة في النجف الأشرف، كان الرّبط بين الموضوعين غاية في السهولة، من دون اعتبار لأي أسس ترعى أنّ تصرُّف المرجعية الدينية محكوم بمفاهيم الشرع الحنيف والعقل والمنطق. بدأت الصحافة الاتصال بنا، وكنّا نعتذر عن الإدلاء بأي تصريح حتى تتوضّح الصورة مُكْتَفين بالبيان الذي نشرناه فور وصولنا إلى لندن.

مساءً ألحّت قناة (العربية) على مشاركتي في برنامج تلفزيوني حول الحَدَث. حبّذ الأخوة أن أُشارك فيه لأوضح بعض الملابسات، حاولت الاعتذار بسبب تعبي الشديد، لأنني لم أذق طعم النوم خلال ثمانٍ وأربعين ساعة. قررت بعدها الاشتراك في البرنامج المذكور.

في تمام الساعة التاسعة مساءً، كنت في استديو قناة العربية في لندن، وبدأ البرنامج. كان على الطرف الآخر من العراق الشيخ محمود السوداني ممثلاً للتيار الصدري. أجبتُ على الأسئلة المطروحة محاولاً توضيح ما جرى، ولكنّ المفاجأة كانت كبيرة عندما تحدث الشيخ محمود عن معلومات تقول بأن السيد السيستاني انتقل بطائرة هليكوبتر أميركية من النجف إلى بغداد!! كان جوابي واضحاً وصارماً بأن هذا افتراءٌ وكذب، وأن سماحة السيد استخدم طريقاً برياً طويلاً ومضنياً رغم حالته الصحية للوصول إلى بغداد، ورفض استخدام أية آليات تابعة لقوات الاحتلال، وهذا موقف جليل سوف يسجّله التاريخ بأحرف من نور للمرجعية الدينية.

عندما التقيت السيد مقتدى الصدر في أول يوم عودتنا إلى النجف إبّان الأزمة، كان ممّا تحدّثنا به، سؤالي له بصيغة العتاب عن كلام الشيخ محمود السوداني في تلك المقابلة التلفزيونية وفيه إساءة غير مبرّرة للمرجعية الدينية. حينها قال السيد مقتدى: إنّ الشيخ محمود نقل كلاماً كنا قد سمعناه ذلك اليوم عن طريقة انتقال سماحة السيد ولكننا طبعاً لم نصدقه، وما كان ينبغي للشيخ محمود أن يذكره.

في مستشفى (كروم ويل):

بعد صلاة الظهر، يوم السبت ٢٠٠٤/٨/٧، انتقلنا بسماحة السيد إلى مستشفى (كروم ويل) في لندن. على بوابة المستشفى كان يقف لاستقبالنا شاب، تدلُّ سمرة وجهه على أنّه عربي، عرفتُ فيما بعد أنه الدكتور عبد الرحمن المهيري مدير المستشفى، وهو من الإمارات العربية المتحدة، وإلى جانبه مجموعة من الأطباء العراقيين بينهم الدكتور هشام الحسن الذي تابع موضوع الحجز في المستشفى.

الدكتور المهيري رحّب بسماحة السيد من على بوابة المستشفى ونقل له سلام وتمنيات الشيخ زايد آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، بالصحة والعافية. وقال: أتمنى أن تعتبروا هذه المستشفى بيتكم. إلى هذه اللحظة لم نكن نعلم أنّ مِلْكيّة هذه المستشفى عائدة للإمارات العربية المتحدة ولرئيسها المرحوم الشيخ زايد آل نهيان، وأنّها تستقبل مرضى عاديين.

صعدنا إلى الجناح المخصّص. لاحظنا عدم ارتياح على مُحيّا سماحة السيد، وقد صرّح بذلك مستفسراً عن السبب في عدم إخباره

بأنّ ملكيّة هذه المستشفى تعود لجهة معينة. وأعتقدُ أنّ عدم ارتياح سماحة السيد ـ كما بدا لي ـ سببه احتماله أنّ الأصالة العربية، وأريحيّة طباع مالكي المستشفى، سوف تجعلهم يبادرون لتحمّل نفقات علاجه، وقد لا نتمكّن من رفض ذلك لأنّه يتعارض مع مقتضيات المحبّة والعلاقات الطيبة، وهذا الأمر يتعارض مع منهج سماحة السيد في التعاطي مع هذه المسائل. أرجع لأذكّر أنّ سماحة السيد رفض ـ بمحبة وتقدير ـ عرضاً لإرسال طائرة خاصة لنقله من مطار بغداد إلى عمّان ثم إلى لندن، وركز على محاولة الانتقال بالإمكانات الطبيعية الذاتية وهذا ما حصل. وكذلك موضوع الإقامة في لندن، فقد كانت هناك عروض عديدة رُفضت ـ بمحبة ـ وتمّ استئجار شقة بالإمكانات الخاصة. وموضوع المستشفى يندرج تحت هذا الإطار.

غير أنّ الدكتور هشام الحسن أوضح لسماحة السيد أنّ المسألة طبيعية، لأنّ هذه المستشفى هي مستشفى عامّة، وأنّ الموضوع المالي محسوم، وهو سيُدفع من حساب سماحته الشخصي، لكنّ سماحة السيد ظلّ على انزعاجه. أتذكّر أنّ الدكتور محمود البربير ـ وهو طبيب لبناني مقيم في لندن وكان ضمن الفريق الطبي الذي تابع حالة سماحة السيد حتى النهاية ـ قال: راحة سماحة السيد فوق كل اعتبار، خصوصاً وأنّه مريض بالقلب ويجب إزالة أيّة أمور تزعجه نفسياً.

بعد تشاور سريع اتفقنا على أن نُجري اليوم الفحوصات الأوليّة في مستشفى (كروم ويل) من تحليل دم وأشعة وغيرها، ثم ننقل سماحة السيد غداً إلى مستشفى أخرى. أطلعنا سماحة السيد على هذا الاقتراح، فوافق عليه.

مساءً، أصدرنا بياناً قلنا فيه: «زار فريق طبي سماحة السيد السيستاني فوْرَ وصوله إلى لندن أمس، ووفقاً لما قرره الفريق الطبي فقد دخل سماحته إحدى المستشفيات المتخصصة لإجراء الفحوصات الضرورية وإجراء اللازم. وسنوافي المؤمنين الكرام تباعاً بآخر المستجدات الخاصة بوضع سماحته الصحي». (انظر الوثيقة رقم ٩).

وأمام الحملة الإعلامية الشرسة والظالمة التي كانت تتحدّث عن سفر سماحة السيد السياسي!! وأنّه ترك النجف بناءً على نصيحة مسؤولين حفاظاً على حياته[١]!!! اتّخذنا قراراً بتصوير شريط تلفزيوني قصير لسماحة السيد وهو راقد على سرير المستشفى، وأعطيناه لتلفزيون العربية.



(١) راجع جريدة الوطن العدد الصادر بتاريخ ٨/٨/ ٢٠٠٤

في مستشفى (ولينفتون)

أُجريت عدة فحوصات أولية لسماحة السيد، انتقلنا بعدها إلى مستشفى (ولينفتون) حسبما تمّ الاتفاق عليه في اليوم السابق.

في مستشفى (ولينفتون) تمّ حجز غرفتين مستقلّتين من حيث الدخول، ومشتركتين من خلال الشُرفة. الأولى يرقد فيها سماحة السيد ورقمها ٣٦٢، والثانية لمبيت السيد محمد رضا، ولاستقبال الزوّار الخاصّين ريثما يدخلون للسّلام على سماحة السيد ورقمها ٣٦٢.

الأخ السيد محمد رضا كان يُلازم سماحة السيد ليلَ نهار في المستشفى، وكان السيد جواد الشهرستاني يستقبل الوفود التي بدأت تتقاطر على لندن في الشقة التي تم استئجارها هناك، ويزور سماحة السيد صباحاً ومساءً. والسيد مرتضى الكشميري كان يتردد بين الشقة المُعدّة للاستقبال والمستشفى، ويقوم برعاية سماحة السيد. وأنا والدكتور مجيد المصطفى كنّا نأتي إلى المستشفى صباحاً ونغادرها ليلاً.

الساعة التاسعة من صباح الإثنين ٢٠٠٤/٨/٩، وصلتُ مع الدكتور مجيد المصطفى إلى مستشفى (ولينفتون)، وتمّ نقل سماحة السيد إلى مركز طبي شعاعي متطوّر في منطقة فكتوريا اسمه (لايف ساين)، لأخذ صور إشعاعية خاصة. وصلنا المركز المذكور الساعة العاشرة صباحاً ودخل سماحة السيد لأخذ الصور وانتهى عند الساعة العاشرة وخمسين دقيقة، ورجعنا إلى مستشفى (ولينفتون) الساعة الحادية عشرة وعشرين دقيقة.

شرح الدكتور مجيد لنا الحالة وقال: تَبيّن أنّ نتائج الفحوصات الشعاعية أظهرت أنّ ثمّة (تصلُّب متوسط الشدّة) في الشرايين. وعليه، يُفترض أن تُستكمل الفحوصات يوم غد، وأن لا بديل ـ حسب تقديره ـ عن إجراء عملية (القسطرة) لاكتشاف الوضع من الداخل.

بداية الاتصالات السياسية:

في هذه الأثناء كانت المعارك مستمرّة في النجف، وكان سماحة السيد على حالته تلك يُتابع الأخبار بقلق شديد. اتصل الدكتور موفق الربيعي بالسيد محمد رضا السيستاني وعرض عليه المشكلة القائمة في النجف، وقال: أنّ ثمّة ضغوطاً كبيرة تُمارس من جامعة الدول العربية والأمم المتحدة ومنظمة المؤتمر الإسلامي لإيقاف القتال، والحكومة العراقية لا تريد التنازل عن موقفها، وهناك تخوف حقيقي من أن المعارك الدائرة سوف تؤدّي إلى إلغاء المؤتمر الوطني المؤقّت، وأنّ موقف الأحزاب السياسية غير واضح المعالم من الأزمة، فما هو رأي المرجعية؟

أجابه السيد محمد رضا: سماحة السيد كما تعرفون بعيد عن النجف حالياً، ويصعب توجيه الأمور بدقة عن بعد، ولكن هناك اتفاقاً عُقد سابقاً[1] (انظر الوثيقة رقم ١٠)، ورأي المرجعية معروف فيه.

---

(١) إشارة إلى الاتفاق الذي على أساسه حُلّت أزمة النجف الأولى، والذي رعته المرجعية، وموضوعه: أنه بعد سيطرة جيش المهدي على مدينة النجف في (أيار ٢٠٠٤)، نشبت معارك كبيرة بينهم وبين القوات الأمريكية، وبعد أن عجزت الأحزاب والحركات السياسية عن إيجاد حلّ منطقي للأزمة، خصوصاً وأن (بريمر) كان يصر على حل جيش المهدي كشرط أساسي لإنهاء القتال =

= الدائر، اضطرّت المرجعية الدينية العليا للتدخل من أجل إنقاذ المدينة المقدسة، على أساس تحييدها من المعركة الدائرة حول حلّ جيش المهدي وقد رفض الأميركان صيغة الحل لكن المرجعية هدّدت بأنها سوف لن تسكت عن ذلك، مما جعلهم يتراجعون عن موقفهم لاحقاً.

ففي يوم الأربعاء ٦ ربيع الثاني ١٤٢٥، المصادف ٢٠٠٤/٥/٢٦، أعدّ مكتب سماحة السيد السيستاني في النجف، رسالة موجهة من السيد مقتدى الصدر إلى البيت الشيعي، هي بمثابة اتفاق للحل، وزار السيد محمد رضا السيستاني الشيخ محمد مهدي الآصفي وأطلعه على بنود الرسالة، وطلب منه الاتصال بالسيد مقتدى الصدر، وإبلاغه أن هذا هو موقف المرجعية والطلب منه التوقيع على الرسالة، على أن لا يذكر اسم المرجعية الدينية، وإنما يكون الحل باسم (البيت الشيعي)، الذي كان يضم آنذاك مجموعة الأحزاب والشخصيات الشيعية الرئيسة. وكان تعليق الشيخ الآصفي بعد أن اطّلع على الرسالة: «إن هذا أفضل ما يمكن عمله في الوقت الحاضر»، وبالفعل فقد وقّع السيد مقتدى الصدر على الرسالة في ذلك اليوم. وانتهت الأزمة التي عُرفت فيما بعد بأزمة النجف الأولى، وجيّر (الحل) للبيت الشيعي من دون أن يكون له أي دور يذكر، وهذا هو شأن المرجعية التي تعمل بصمت، وفي سبيل الله ولا تريد جزاءً ولا شكوراً.

والرسالة (الاتفاق) هي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الاخوة أعضاء البيت الشيعي المحترمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد: لغرض وضع حد للحالة المأساوية في مدينة النجف الأشرف وانتهاك حرمة العتبة العلوية المقدسة وسائر الأماكن الشريفة فيها أعلن موافقتي على الخطة التالية:

١ ـ إلغاء جميع المظاهر المسلّحة وإشغال المباني الحكومية من قبل الدوائر والمؤسسات الحكومية وانسحاب جميع مقاتلي جيش المهدي من غير أبناء محافظة النجف الأشرف من هذه المدينة، والتوقف عن ملاحقة الأشخاص ومحاكمتهم والتعهّد بعدم العود إلى ذلك.

٢ ـ إفساح المجال للشرطة وسائر القوات الوطنية العراقية بممارسة مهامها في توفير الأمن والنظام، وعدم مزاحمتها في ذلك من أي أحد. =

ويمكن الاعتماد عليه والالتزام بحذافيره لحل الأزمة، وإيقاف القتال، ونحن لا نعرف لماذا خُرِق الاتفاق أصلاً؟ ولماذا تمّ تجاوزه؟

أعطاني السيد محمد رضا سماعة الهاتف، وأكملتُ المكالمة مع الدكتور موفق الربيعي، وأخبرته بأننا قرأنا في جريدة الشرق الأوسط تصريحاً غريباً نُقل عن قائد شرطة النجف العميد غالب الجزائري، وهو «أن القوات المتعددة الجنسيات والشرطة أخرجت السيد السيستاني من بيته بعد محاولة جماعة مقتدى الصدر قتله أو اختطافه، وأُرسل إلى لندن لحمايته وليس للعلاج!!!» وهذا الكلام ـ كما تعلم ـ كله كَذِبٌ في كذب. وأكّدت عليه ضرورة متابعة المسألة مع العميد المذكور والتحقّق من هذا التصريح. فأوعدني خيراً. وبالفعل اتصل بي الدكتور الربيعي بعد ساعتين وقال: إنّه أخبر محافظ النجف بضرورة أن يُكذّب العميد الجزائري هذا الخبر في الجريدة نفسها، وإلّا فإنه سيتعرّض لأشد العقوبات.

في الساعة السادسة مساءً زار طبيب بريطاني مشهور مختص بالجهاز التنفسي سماحة السيد، وأجرى له فحوصات عديدة وكانت النتائج إيجابية.

= ٣ ـ انسحاب قوات الاحتلال إلى قواعدها باستثناء وحدات صغيرة لحماية مقرّها ومبنى المحافظة، مع استمرار تواصلها مع هذين المكانين.

٤ ـ إجراء مناقشات واسعة مع ممثلي البيت الشيعي بشأن مستقبل جيش المهدي والملفات القضائية، وعدم اتخاذ أي إجراء إلى ذلك الحين.

يرجى اتخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ هذه الخطة وشكراً.

مكتب الشهيد الصدر
مقتدى الصدر
٦/ربيع الثاني/١٤٢٥

في الساعة التاسعة مساءً، كنت في مقابلة مع قناة الجزيرة، بعد أن ألحّ مراسلهم على استضافتي لمعرفة أخبار صحة سماحة السيد، ولكن السؤال الأول الذي بادرني به كان عن رأي المرجعية حول أزمة النجف. امتعضت لهذا الأسلوب الملتوي في التعامل معنا وأجبت فوراً أن مراسلكم ألحّ على استضافتي من أجل الإجابة عن أسئلة تتعلّق بصحة سماحة السيد، ولكن مع ذلك فإنّ المرجعية تعتقد أنّ الاتفاق الذي تمّ على أساسه حلّ أزمة النجف الأولى يمكن أن يُشكّل مرجعية صالحة لإيقاف القتال وإنهاء الأزمة.

في الساعة الثامنة من صباح يوم الثلاثاء ٢٠٠٤/٨/١٠، اتصل بي الدكتور موفق الربيعي وسأل عن موضوعين:

الأول: هل نشرت صحيفة الشرق الأوسط تكذيب العميد غالب الجزائري، لأنه عَقَدَ مؤتمراً صحفياً وكذّب الخبر؟

والثاني: متى تُجرى عملية (القسطرة) لسماحة السيد؟ وما هو تقديركم لموعد رجوعه إلى العراق؟

قلت: بالنسبة للسؤال الأول، لا أدري حقيقةً، لأنني لم أتابع الصحافة صباحاً. أمّا السؤال الثاني: فإن موعد القسطرة يتحدّد بعد الانتهاء من الفحوصات اللّازمة، وموعد الرجوع يُفترض أن يتحدّد بعد الانتهاء منها، ثمّ تحدثنا عن الوضع في النجف.

في الساعة الثامنة والنصف وصلتُ مع الدكتور مجيد المصطفى إلى مستشفى (ولينفتون)، واطّلعت على جريدة الشرق الأوسط فلم يرد فيها أيّ خبر حول مؤتمر صحفي أو تكذيب، فاتصلت بالدكتور موفق الربيعي وأخبرته، فأوعدني بمتابعة الموضوع.

عند الساعة التاسعة نقلنا سماحة السيد إلى القسم الجنوبي في المستشفى، لإجراء فحص خاص، عن طريق زرق مادة ملونة بالوريد لمعرفة نسبة انسداد الشرايين، وطُلب من سماحته شرب أكثر من خمسة عشر كوباً من الماء خلال ساعة واحدة، من أجل انتشار المادة الملونة النووية التي زُرق بها، ليتمّ تصويره تصويراً شعاعياً بعدها.

في خلال ساعة كنا ننتظر مع سماحة السيد ـ بوجود السيد محمد رضا والدكتور مجيد ـ دار حديث عام تناول عدة جوانب، ومن ذلك أنه تكلّم الدكتور مجيد عن الوضع العلمي في الجامعات العراقية، وعن عدم التواصل مع العالم الخارجي طيلة فترة الحصار، وأنّه إذا سافر إلى الخارج أسبوعاً واحداً يضطّر فيه إلى ترك الدراسة والجامعة يشعر عند رجوعه بأنّه تخلّف علمياً، فكيف بالعراق الذي فقد التواصل مع التطور العلمي طيلة سنوات.

فعقّب على ذلك سماحة السيد بالتأكيد على ضرورة العمل لتدارك ما فات العراق خلال العقد الأخير من مواكبة العالم في مجال العلم والمعرفة، وأكّد على أهمية أن لا ينقطع العالم عن البحث والمراجعة لفترات طويلة لأنه يؤثر سلباً على مستواه العلمي، وذكر بالمناسبة عدّة قصص عن العلماء الذين كانوا حريصين على استمرار مراجعاتهم العلمية حتى في الأسفار والعطل القصيرة، وأن بعضهم كان يقول: بوجود العطلة يومي الخميس والجمعة، فإنه عندما يبدأ الدرس يوم السبت لا يرى نفسه مؤهلاً بالطريقة نفسها التي يرى نفسه بها أثناء الأسبوع. ثم تحدث عن أهمية أن يعشق طالب العلمِ العلمَ الذي يطلبه، وما له من أثر في الوصول إلى المراتب العليا.

في اليوم نفسه اتصل رئيس مجلس الرئاسة في العراق الشيخ غازي الياور بالسيد محمد رضا واطمأنّ على صحة سماحة السيد.

اتصال الأخضر الإبراهيمي:

في الساعة الواحدة ظهراً انتهت الفحوصات، وعاد سماحة السيد إلى جناحه بالمستشفى.

اتصل الأخضر الإبراهيمي بالسيد محمد رضا السيستاني، وتداول معه شؤون الأزمة في النجف، وعرض تدخُّل (الأمم المتحدة) على خط الوساطة لحلّها. وكان رأي المرجعية أنها تبارك أي جهود لحل الأزمة، وبإمكان الأمم المتحدة التواصل مع المسؤولين في العراق والبحث بصيغة الحل المناسب. كما أكّد الأخضر الإبراهيمي أنه سيبقى على اتصال معنا لمتابعة الحدث.

خلاف طبي على طبيعة العلاج:

في الساعة السادسة والنصف مساءً عقد الفريق الطبي جلسة عمل. حضر الاجتماع الدكتور مجيد المصطفى والدكتور هشام الحسن والدكتور محمود البربير، وكان تقييمهم أن هناك تصلّباً متوسط الشدّة في أحد الشرايين، وأنّ الفحوصات إيجابية، وكان رأي الدكتور محمود البربير عدم إجراء القسطرة، في المرحلة الحالية، ولكن الدكتور مجيد المصطفى أصرّ على ضرورة إجراء عملية القسطرة، لأنها ضرورية جداً، ولا يمكن لأية فحوصات أن تحلّ محلّها.

قرر الفريق الطبي إخبار سماحة السيد بالحالة ليتّخذ القرار

الذي يرتئيه. في الساعة السابعة مساءً دخلنا على سماحة السيد، وأخبره الفريق الطبي بالأمر، والاختلاف الحاصل بوجهات النظر. فقال سماحة السيد: أنا وضعي خاص جداً، ولا أستطيع الخروج من النجف في أي وقت، هذه المرة خرجت، وربما لا يتكرر هذا أبداً. لذا يجب أن تأخذوا كامل الاحتياطات، مع احترامي الشديد لكم، أنا أعرف أنكم اختصاصيّون محترفون، ولا يوجد في النجف أمثالكم، ولو كان أحدكم هناك، لعلّي ما كنت خرجت من النجف. أنا أقترح أن تستشيروا آخرين، وتعطونا الرأي النهائي.

قرر الفريق الطبي طلب استشارة من أساتذة بريطانيين، من خارج المستشفى، واتفقنا على إصدار بيان طبي عن حالة سماحة السيد. وبالفعل فقد أعطى الدكتور مجيد المعلومات اللازمة، وكتب السيد محمد رضا البيان، الذي حمل الرقم ٣، ووُزِّع في تمام الساعة الثامنة مساءً.

ونص البيان:

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ

«أُجري لسماحة السيد السيستاني دام ظله خلال الأيام الماضية عدد من الفحوصات الخاصة بالقلب وشرايينه ومنها الفحص بجهاز المفراس للشرايين التاجية وفحص القلب بالمواد المشعة قبل اختبار الجهد وبعده.

وفي ضوء النتائج المستحصلة استبعد الفريق الطبي الحاجة إلى التدخل الجراحي لعلاج الاضطرابات التي يعاني منها سماحته، ولكنه

قرّر استمرار الاستشارات والفحوصات الطبية الأخرى لتحديد العلاج اللازم لسماحته دام ظله.

نرجو من المؤمنين الكرام أن لا ينسوا سماحته من الدعاء في مظانّ الإجابة كما لا ينساهم إن شاء الله تعالى». (انظر الوثيقة رقم ١١).

استمرار الاتصالات السياسية حول أزمة النجف

في الساعة الثامنة والنصف من صباح الأربعاء ١١/٨/٢٠٠٤، اتصل بي الدكتور موفق الربيعي وسأل عن صحة سماحة السيد وأحواله، فأخبرته بصدور البيان أمس ليلاً، فكرّر سؤاله عن رجوع سماحة السيد. فأجبته بأن الأمر قد يتوضّح مساء اليوم، حيث ستعقد جلسة استشارية مع أطباء بريطانيين، يتحدّد على أساسها مسار العلاج، كما أن سماحة السيد يعاني من مشاكل في العين اليمنى، وهي تحتاج إلى معالجة، وقد يستمر ذلك عدّة أيام. فقال: هل نستطيع أن نحدّد أن العودة يمكن أن تكون يوم الأربعاء المقبل؟ قلت: لا أدري حقيقة، لا يمكن تحديد الموعد بهذه الطريقة، المسألة خاضعة لتشخيص الفريق الطبي، ولكن لماذا تسأل عن موعد الرجوع وبهذه الطريقة؟ فقال: نحن لا نريد أن يرجع سماحة السيد والوضع الأمني غير مستقر، لأنّ حياته ستكون بخطر. فسألته عن الوضع في النجف، وما هي نتائج الاتصالات الأخيرة؟ فقال: الوضع سيئ، المفاوضات توقفت، السيد مقتدى الصدر وافق على اتفاق الهدنة السابق بنقاطه الأربعة، لكن الحكومة العراقية تريد أن تغير بالنقطة الرابعة، تريد البتّ بمسألة حلّ جيش المهدي، ولا تريد أن تتركها

لمفاوضات يجريها البيت الشيعي، كما كان سابقاً. أخبرته باتصال الأخضر الإبراهيمي ورغبة الأمم المتحدة الرامية لإيجاد حل سلمي فبيّن لي علمه بالأمر، وتحدّث عن أن الجميع يسأل عن رأي المرجعية وأنتم لم تصدروا أي بيان إلى الآن. فأجبته أن المعطيات غير مكتملة هنا وسماحة السيد مريض كما تعلم، ولعل الجهود الخيّرة تصل إلى نتيجة.

في الساعة التاسعة وخمس وأربعين دقيقة صباحاً اتصل بي الشيخ محمد كوثراني ـ عضو المكتب السياسي لحزب الله ـ من لبنان وسأل عن أحوال سماحة السيد، ثم سأل عن الوضع في النجف، وعن رؤيتنا لحل الأزمة وعن السبب في عدم إصدار بيان إلى هذا الوقت. فأجبته: إننا بعيدون عن الوقائع الجارية، وإنْ كنّا نحاول متابعتها بكل ما أُوتينا من إمكانيات، ولكنّ تسارع الأحداث يفاجئنا، ونعتقد أن ثمة اتفاق هدنة، حُلّت على أساسه أزمة النجف السابقة، يمكن اعتماده الآن، وقد صرّحتُ شخصياً بذلك في مقابلة تلفزيونية مع قناة الجزيرة، ونحن نحثُّ الأطراف على ذلك، ولا نرى فائدة معينة من إصدار بيان.... يجب أن تُبحث الأسباب الحقيقية التي أدّت إلى خرق الاتفاق السابق.

الشيخ محمد كوثراني أعطى سماعة الهاتف للسيد إبراهيم أمين السيد ـ رئيس المجلس السياسي لحزب الله ـ حيث سأل عن صحة سماحة السيد، وطلب التحدث مع السيد محمد رضا، فأجبته: إنني متوجّه إلى المستشفى ويمكنكم التحدث معي بعد نصف ساعة، سأكون هناك، ويمكنكم الحديث مع السيد محمد رضا.

في الساعة العاشرة وخمس عشرة دقيقة اتصل الشيخ محمد كوثراني ثانية، وحوّل سماعة الهاتف للسيد إبراهيم أمين السيد فتحدّث مع السيد محمد رضا وسأله عن صحة سماحة السيد وتمنى له الشفاء العاجل، ثم تحدّث عن الأوضاع في النجف، فشرح له السيد محمد رضا تألّم سماحة السيد الشديد وهو يرى النجف تحترق، وأنهم عندما غادروا النجف تصوّروا أن الأمر لا يعدو كونه اشتباكات بسيطة ستمرّ وتنتهي كالعادة، وأن تطوّر الأحداث بهذا الشكل يفوق كل التصورات. حينها سأله السيد إبراهيم: ألا تُصدرون بياناً؟ فأجابه السيد محمد رضا: لا فائدة من إصدار بيان عادي، المرجعية يجب أن يكون موقفها حازماً وفاصلاً، وهذا لا نتمكن منه حالياً لأننا خارج النجف، في المرة الماضية تدخّلنا وأنهينا الأزمة[١]، أما الآن الحيثيات عندنا ناقصة، ولا يتيسر الاتصال المباشر مع السيد مقتدى الصدر. فسأل السيد إبراهيم: ألم يتصل بكم الأخوة في التيار الصدري؟ فأجابه السيد محمد رضا: لا، قبل مغادرتنا بأسبوع زارنا الشيخ جابر الخفاجي مُرسَلاً من قبل مكتب السيد الشهيد الصدر في النجف، وسَألَنا عن أية توجيهات أو نصائح. فقلنا له: لا يوجد لدينا شيء جديد، وأنتم إن كان لديكم أي مشاكل تميق تواصلكم مع الحكومة المراقبة، وتجدون أننا نستطيع المساعدة، فنحن جاهزون لخدمتكم. فأجاب الشيخ جابر: لا، الأمور تسير بشكل عادي.

أردف السيد محمد رضا: الآن نحن لا توجد لدينا حيثيات دقيقة عمّا يجري من مفاوضات على الأرض، وإذا كان هناك أية

(١) إشارة إلى تدخل المرجعية في إنهاء أزمة النجف الأولى كما أسلفت.

وجهة نظر تصبُّ في خدمة النجف والعراق والعراقيين فلتطرح حتى تُعرض على سماحة السيد وتُدرس، فشكره السيد إبراهيم أمين السيد وودّعه.

في الساعة الواحدة زار أحد الأطباء الاستشاريين سماحة السيد، وأجرى له فحوصات طبية، ودرس حالته الصحية.

في الساعة السادسة والنصف مساءً اتصل بي الرئيس نبيه بري وسأل عن صحة سماحة السيد، وعن موقفه مما يجري في النجف، وهل سيُصدر شيئاً؟ فأخبرته بتعقيدات الوضع وأوْجزْتُ له الموقف، وأن سماحة السيد لا يؤمن بالحسم العسكري وإنما يؤمن بضرورة احتواء المشكلة.

احتدمت المعارك في النجف، وكنّا نعيشها ساعةً بساعة ولحظةً بلحظة، وكان السيد محمد رضا يُخبر سماحة السيد بكل التفاصيل. القلق والتوتر كانا سَيدَيّ الموقف، فمن جهة كان علينا اتخاذ قرارات صعبة وحسّاسة تتعلّق بوضع سماحة السيد الصحي، ومن جهة أُخرى كنّا نتابع أخبار المعارك في النجف، وما أدراك ما النجف... وما تمثّله في الذاكرة والوجدان.

اقتراح تدخل الأمم المتحدة... فكرة لم تنجح

طُرحت فكرة لحلّ الأزمة، وهي: العمل على إدخال (الأمم المتحدة) كوسيط لحلّ النزاع ولم يرَ سماحة السيد بأساً بها وأوعز إلى السيد محمد رضا بالاتصال بالدكتور حسين الشهرستاني وتكليفه بزيارة السيد مقتدى الصدر غداً في النجف الأشرف وطرح الموضوع

عليه، وسؤاله: هل يقبل بالأمم المتحدة وسيطاً، خصوصاً وأنّ موقفه من الأمم المتحدة كان سلبياً في الفترة الأخيرة؟ فإذا وافق، نبدأ بالخطوات العملية.

اقترح السيد محمد رضا الاتصال بالسيد إبراهيم أمين السيد في لبنان، فاتصلتُ به حدود الساعة التاسعة مساءً، وأخبرته بالفكرة، وعن إمكانية سؤال السيد مقتدى الصدر حول الاقتراح، ودفعه باتجاه الموافقة عليه. فقال السيد إبراهيم: سنبحث الأمر.

في الساعة الحادية عشرة ليلاً اتصل الشيخ محمد كوثراني، وقال: كُلّفت بمتابعة المسألة، فاتصلتُ بالشيخ أحمد الشيباني وأخبرته بفكرة تدخل الأمم المتحدة وطلبت منه أن أُكلّم السيد مقتدى الصدر، فأجابني أنه لا يستطيع إيصال الهاتف إليه، لأن الوضع الأمني لا يسمح، وأنه في مكان بعيد، ولكنّنا نوافق على تدخل الأمم المتحدة، ولا توجد لدينا مشكلة مع هذا الاقتراح. أجبتُ الشيخ محمد كوثراني: أعتقد أنّ هذا الكلام غير مقبول، مع ذلك سأخبر السيد محمد رضا وسأتصل بك. أخبرت السيد محمد رضا فراجع سماحة السيد وأخبره بالموضوع فعقّبَ سماحته قائلاً: هذا لا يفيد، الموافقة يجب أن تأتي من السيد مقتدى الصدر شخصياً. اتصلتُ بالشيخ محمد كوثراني وأخبرته بالجواب.

في الساعة السابعة والربع من صباح يوم الخميس ٢٠٠٤/٨/١٢ اتصل بي الدكتور موفق الربيعي وقال: اتّصل الدكتور حسين الشهرستاني بالأمريكيين وقال لهم: إنني أحمل مشروعاً من قبل سماحة السيد السيستاني يرمي إلى إدخال (الأمم المتحدة) كوسيط

لحل النزاع الجاري، وطلب منهم تأمين الطريق ليصل إلى السيد مقتدى الصدر ليطرح عليه الفكرة. فهل هذا الأمر صحيح؟ فشرحت له ما دار أمس، من اتصال الأخضر الإبراهيمي، وتفكيرنا المستمر بإيجاد صيغة حلّ تُنقذ النجف ممّا هي فيه، فتبلْوَرت هذه الفكرة، وكلّف السيد محمد رضا الدكتور حسين الشهرستاني بأن يسعى للقاء السيد مقتدى الصدر ليطرح عليه الاقتراح ويعرف وجهة نظره.

كان رأي الدكتور موفق الربيعي أنّ دون نجاح هذا الإقتراح عقبات أساسية، منها: إن إدخال (الأمم المتحدة) لحلّ مشكلة داخلية بيننا أمر غير صحيح، ثم إننا على وشك التوصُّل إلى اتفاق مع السيد مقتدى الصدر، ونحن منذ أربعة أيام (رايحين جايين)، فلماذا لم تخبرونا بتحرككم؟ إضافة إلى أن هناك توتّراً شديداً في العلاقة ما بين الدكتور حسين الشهرستاني والدكتور أياد علاوي، وحسب تعبيره: بينهما ما صنع الحداد!! وأنّ الدكتور أياد سوف يمتعض جداً لهذا التدخل، وعلى كل حال، سوف يُعقد اجتماع لمجلس الأمن القومي بعد ساعة، ويا حبذا لو تُخبر السيد محمد رضا بما قلته ويتصل بي.

أخبرت السيد محمد رضا هاتفياً الساعة السابعة والنصف صباحاً ـ قبل أن أصل إلى المستشفى ـ بمكالمة الدكتور موفق الربيعي وآرائه، وطلبت منه الاتصال به على هاتفه الأرضي في بغداد.

اتصل السيد محمد رضا به وقال له: أمّا أنّ الأمم المتحدة يجب أن لا تتدخل في شأن داخلي، فهذا كلام غير علمي وغير دقيق، لأن المهم هو حلّ المشكلة. وأمّا موضوع قرب التوصل إلى اتفاق مع

السيد مقتدى الصدر فأين هي مؤشراته؟ ما نراه هو أنّ المعارك مستمرة، والكلّ يتوقّع من المرجعية تحركاً ما. وأمّا العلاقة المتوتّرة بين الدكتور أياد علاوي والدكتور حسين الشهرستاني فهو أمر لا يعنينا. وعلى كل حال، يا ليتكم تتوصّلون إلى اتفاق لحل الأزمة، ونحن نجمّد المبادرة إلى حين جلاء الموقف، وسنخبر الدكتور حسين الشهرستاني بذلك.

الساعة التاسعة والنصف صباحاً، اتصل المرجع الديني الشيخ بشير النجفي من النجف الأشرف وتحدّث مع السيد محمد رضا واطمأنّ على صحة سماحة السيد، وسأل عن الموقف من أزمة النجف، فشرح له السيد محمد رضا بعض التفاصيل والاتصالات الجارية. واقترح الشيخ بشير أن يُصدر سماحة السيد بياناً يدعو فيه إلى وقف القتال، وإطلاق المعتقلين.

في الساعة العاشرة والثلث صباحاً اتصل الدكتور حسين الشهرستاني بالسيد محمد رضا، فأخبره الأخير بما جرى وطلب منه تجميد الفكرة، ولكن لا بأس باستطلاع رأي السيد مقتدى الصدر إذا تمكّن من لقائه، حتى يُمكن تفعيل الاقتراح فيما لو فشلت المفاوضات الجارية.

ظُلامة المرجعية.. لماذا لا تصدرون بياناً؟؟

بدأت الاتصالات تتوالى وتتكاثر علينا في لندن من مناطق عديدة في العالم الإسلامي، فالشيعة في كل مكان كانت قلوبهم في النجف، أليس مرقد علي (ع) مهوى أفئدة المؤمنين، أليس لهذه المدينة المقدسة وحوزتها العلمية مكانة لا تضاهى عند الجميع؟

الاتصالات كانت تأتي من شيعة الخليج وإيران ولبنان وأوروبا، من العلماء والشخصيات السياسية والاجتماعية.

الظلم الكبير الذي تعرّضت له المرجعية في تلك الفترة هو أن الجميع كان يطالبها بإصدار بيان ظنًّا منهم أنه يمكن أن يعالج المشكلة، في وقت كانت المرجعية تعتقد أنّ في ذلك تبسيطاً للأمور. كما أنّ المرجعية لم يكن باستطاعتها شرح تحرُّكها الدائم لحل الأزمة، من خلال الاتصالات والمتابعات التي كنّا نجريها مع الأطراف في كافة الاتجاهات، رغم أن سماحة السيد كان طريح الفراش، بعيداً عن الوطن.

وهنا أستغلُّ الموضوع لأتحدث عن شبهة طالما طُرحت بوجه المرجعية الدينية العليا وأعني تحديداً سماحة السيد السيستاني دام ظله، وهي عدم تفاعله مع الأحداث الجارية، والأزمات الشديدة لأنه لا يصدر بيانات توضّح موقفه منها.

والحقيقة أنّ سماحة السيد يعتقد أن كثرة البيانات الصادرة، سوف يُفقدها قيمتها، وأنّ على المرجعية أن تتكلّم بما يجب أن تعمل على تنفيذه عملياً، وإلا ما فائدة عشرات بيانات الإدانة والاستنكار إن لم تستطع أن تغير في الأمر شيئاً. وإذا كان هذا الأمر جائزاً للأحزاب والمنظمات والحركات السياسية، فهو غير جائز للمرجعية.

وأضرب هنا عدة أمثلة:

عندما أصدر سماحة السيد الفتوى الدستورية الشهيرة التي

أوجب فيها تشكيل الجمعية الوطنية المراقبة عبر الانتخابات الحرّة المباشرة (انظر الوثيقة رقم ١٢)، تمت متابعتها، ودخلت المرجعية وتيارها العريض في الشارع العراقي بصراع استمرّ فترة طويلة مع الإدارة المدنية وسلطة الاحتلال حتى تحقّق مشروع الانتخابات الذي وصفه البعض آنذاك بأنه (خيال سياسي).

كما أنّ المرجعية عندما عارضت قانون إدارة الدولة للفترة الانتقالية، وأصدرت بياناً في ذلك (انظر الوثيقة رقم ١٣) لم تكتفِ بالكلام، وإنما تحركت عبر آلياتها للتواصل مع الجماهير في المجتمع العراقي وجمعت ملايين التوقيعات الرافضة له، وعندما عرفت أن هناك سعياً لإدراج فقرة تشير إلى هذا القانون في القرار الدولي ١٥٤٦ الذي صدر عن مجلس الأمن، لاحقته إلى هناك ووجهت رسالة تحذيرية شديدة إلى رئيس مجلس الأمن الدولي (انظر الوثيقة رقم ١٤) حتى صدر القرار المذكور من دون أي إشارة لقانون إدارة الدولة. فالمرجعية بسعيها ذاك انطلقت من رؤيتها العلمية بأنّ قانون إدارة الدولة لا يمكن أن يكتسب (الشرعية) إلا من طريقين:

الأول: الشرعية الانتخابية، وهو فاقد لها، لأنه كُتب من قِبل مجلس معيّن وغير مُنتخب، وهو مجلس الحكم.

والثاني: الشرعية الدولية، وهو أن يتضمّن أي قرار دولي يصدر من مجلس الأمن إشارة له، ولذلك لاحقَتْه إلى مجلس الأمن الدولي، وعملتْ على سلبه هذه الشرعية. وعليه، فإن قانون إدارة الدولة للفترة الانتقالية هو قانون فاقد للشرعية الانتخابية والدولية، ولذلك فهو لا يستطيع أن يلزم الجمعية الوطنية المنتخبة بأي فقرة من فقراته، لأنه لا سلطة أعلى من سلطة الشعب.

ما أريد قوله، أن المرجعية الدينية العليا عندما تُصدر بياناً، يُفترض أنها تمتلك مشروعاً لتنفيذ ما صدر عنها. ولذلك يُلاحظ أنه في أزمة النجف الأولى لم تُصدر المرجعية بياناً، وبقيت صامتة رغم انتقاد المنتقدين، وفسحت المجال للأحزاب والفعاليات السياسية والاجتماعية لتمارس دورها الطبيعي في حلّ الأزمة، لأنها لا تريد أن تأخذ دورهم، ولكن عندما فشل الجميع تدخّلت لحلّ الأزمة عملياً ونجحت في ذلك.

في أزمة النجف الثانية، عندما توفّرت للمرجعية العليا الفرصة نزلت على الأرض رغم المخاطر وآلام المرض وحلّت المشكلة.

في أزمة مدينة الصدر لم تصدر المرجعية بياناً حسب منهجها، ولم تتدخل لأن آليات الحل لم تكن متوفّرة.

وعندما وصل القتال إلى قرب مرقد الإمام الحسين (ع) في كربلاء لم تُصدر المرجعية بياناً لأن مشروع الحلّ لم يكن ناضجاً أيضاً.

كثيرون اعترضوا على المرجعية العليا، لماذا لم تُصدر بياناً في أزمة الفلوجة، والجواب هو نفسه، لأن المرجعية لا تؤمن بإصدار بيانات جوفاء لا روح فيها، ولو أنها تعتقد أن لديها كلمة مسموعة عند المقاتلين في الفلوجة لكانت بادرت إلى مشروع عملي لحل الأزمة، كما فعلت بالنجف، لأنها لا تفرّق بين دماء الأبرياء من العراقيين في النجف أو الفلوجة.

كل المآسي التي تمرّ على العراقيين، من أبناء المرجعية، من

قتل جماعي، وتفجير للمساجد والحسينيات، واغتيال لوكلاء سماحة السيد، تؤلم قلب سماحته وهو الذي يحمل هموم الأمة، ولكنه لم يصدر بيانات. فالمرجعية تحاول إيجاد الحلول، هذا هو منهج مرجعية السيد السيستاني دام ظله، ولكم أن تحاسبوها على هذا الأساس.

لعلني أسهبت بعض الشيء في هذا الموضوع، لأنني أعتقد أن هذا المنهج لم يكن واضحاً إبّان أزمة النجف ـ ولا بعدها ـ، وكانت الضغوط الكبيرة التي تُمارس على المرجعية تؤلمها، لأنها ما كانت تتفهّم منهجها، ولعل كثيراً من الأصدقاء عرفوا بُعد نظر المرجعية بعد أن عادت مظفّرة منتصرة ـ بالله وبجماهيرها ـ لتطفئ النائرة، ولتُنقذ النجف الأشرف.

□ □ □

في الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم الخميس ١٢/٨/ ٢٠٠٤، بعد اتصال سماحة الشيخ بشير النجفي واتصال الدكتور حسين الشهرستاني واتصالات عديدة، طلب مني السيد محمد رضا الاتّصال بالدكتور موفق الربيعي وسؤاله عمّا تتناقله وسائل الإعلام من محاولة اقتحام النجف، وإذا صحّ ذلك فأعلمه بأن سماحة السيد سيتخذ موقفاً صارماً من هذه الخطوة. اتصلت به وسألته، فأجابني قائلاً: «إنّ ذلك غير صحيح، سأتوجه إلى النجف بعد نصف ساعة، وأحتاج أولاً: إلى دعاء سماحة السيد شخصياً، وثانياً: أرجو أن تمطوني مهلة يوم أو يومين» قلت له: إننا نحسب الوضع بالساعات والدقائق لا بالأيام، ثمّ أخذت رقم هاتفه الثريا.

في الساعة العاشرة والثلث اتصل سماحة الشيخ محمد حسن آل ياسين رحمة الله عليه من بغداد، وتداول مع السيد محمد رضا شؤون الأزمة في النجف.

ونتيجة للطلبات الكثيرة من مختلف الأطراف وافق سماحة السيد على إصدار بيان باسم مكتب سماحته ذي طبيعة عاطفية وجدانية بالدرجة الأساس، وصدر البيان التالي في حدود الساعة الواحدة ظهراً:

«تمرّ مدينة النجف الأشرف وعدد من المدن العراقية الأُخرى في هذه الأيام بظروف مأساوية، حيث تُنتهك فيها الحرمات وتُزهق الأرواح وتُراق الدماء وتُدمر الممتلكات ولا رادع ولا مانع.

وسماحة السيد السيستاني ـ دام ظله ـ الذي اقتضت ظروفه الصحية أن يكون بعيداً عن النجف الأشرف في هذه الأيام العصيبة يتابع ـ وهو على سرير المستشفى ـ بألم بالغ وقلق شديد معاناة أهله وأبنائه العراقيين، ويشاركهم في آلامهم ومصائبهم، ويواصل مكتبه بذل جهود حثيثة ومع مختلف الأطراف من المسؤولين العراقيين وغيرهم لوضع نهاية سريعة للوضع المأساوي الراهن.

وإن سماحته ـ دام ظله ـ إذ يدعو كل الأطراف ذات العلاقة للعمل الجاد من أجل إنهاء هذه الأزمة في أسرع وقت، ووضع أسس تضمن عدم تكرارها مستقبلاً، يدعو الله جلّت آلاؤه أن يجعل العراق آمناً ويدفع عنه كل سوء ومكروه إنه سميع مجيب». (انظر الوثيقة رقم ١٥).

استمرار المساعي لايجاد حل للأزمة:

في الساعة الثالثة ظهراً اتصل السيد حسين الصدر من الكاظمية، وسأل عن صحة سماحة السيد، وعن الموقف من أزمة النجف.

في الساعة الرابعة مساءً زار أحد كبار أطباء القلب في لندن سماحة السيد، وهو ممن تقرر استشارتهم، فكان على رأي الدكتور مجيد المصطفى، ويؤكد على ضرورة إجراء عملية القسطرة، وبناء على هذه الاستشارة، قرر الفريق الطبي إجراء العملية في مستشفى (هيرفلد) وهي مستشفى متخصصة بأمراض القلب، وأجريت الترتيبات اللازمة للانتقال إليها يوم الجمعة المصادف ١٣/٨/٢٠٠٤.

في الساعة السابعة والنصف مساءً اتصلت بالدكتور موفق الربيعي، وسألته عن الأوضاع، وما وصلت إليه المفاوضات؟ فقال: اتفق مساعدي مع الشيخ علي سميسم على ثماني نقاط ـ وتلاها على مسامعي هاتفياً ـ وغداً صباحاً سألتقي السيد مقتدى الصدر. فسألته: أنت الآن في النجف؟ فأجابني ضاحكاً: لا في لوس أنجلوس، الكهرباء مقطوعة والحر شديد...

في يوم الجمعة الساعة التاسعة وأربعين دقيقة صباحاً اتصل الدكتور موفق الربيعي وتحدث مع السيد محمد رضا، وشرح له الموقف في النجف، والجهود والاتصالات الجارية وقال إنه لم يستطع اللقاء بالسيد مقتدى الصدر حتى الآن. وطلب المعونة في أن نساعده بالوصول إلى السيد مقتدى، خصوصاً وأنه تم الإعلان

صباحاً عن إصابته بجروح. فأشار عليه السيد محمد رضا أن يتواصل مع الشيخ محمد مهدي الآصفي لعله يستطيع أن يوصله بالسيد مقتدى. فقال: إن الشيخ الآصفي غير موجود في النجف. فردّ السيد محمد رضا قائلاً: نرجو أن تمطوا فرصة أكبر للحل السلمي. فأجابه الدكتور موفق بأن الوقت يضيق، ويخشى أن الحكومة لا تستطيع الانتظار أكثر.

اتصل السيد حسين الشهرستاني بالسيد محمد رضا وأخبره، بأنه ذهب أمس إلى مدينة النجف وحاول لقاء السيد مقتدى الصدر، ولكن وضع المدينة سيئ جداً حيث تعرّض لإطلاق نار كثيف، ولم يتمكن من لقائه.

في الساعة العاشرة والربع، بينما كنت جالساً مع السيد محمد رضا في غرفته، نتحاور في شؤون النجف، حانت مني التفاتة للشرفة التي تجمعنا بغرفة سماحة السيد السيستاني دام ظله. كان سماحته يتمشى في الشرفة، ذهاباً وإياباً، تأملته جيداً، فتراءى لي مطرقاً مهموماً، كأنه يحمل هموم الدنيا على كتفيه، كان مستغرقاً في التفكير والتأمل، أنا أعرف أنّ النجف وحوزتها وتاريخها العريق الذي شاءت الأقدار أن يكون هو من يحمل رايتها في هذه المرحلة، أغلى عليه من قلبه المريض... نجف تحترق، وقلب عليل، ويد مكبّلة، وافتراءات باطلة، وتهم ظالمة، كتلك التي واجهت أئمة أهل البيت ﷺ. خمسون عاماً قضاها سماحة السيد في النجف بحلوها ومرّها، اعتقل مرة، ذاق أنواع المرارات، لم يستطع الطاغية أن يُخرجه من النجف... هو منها كجذور النخيل

المتشبّثة بالأرض، النخلة تموت وهي واقفة، فإذا اقتلعتها من الأرض لن يبقى لها وجود.

كان سماحته يتابع المستجدات عن طريق السيد محمد رضا الذي يحرص على إخباره بالاتصالات الجارية والأفكار المطروحة، وهو يستمع مباشرة إلى وجبة أخبار ثابتة من إحدى الإذاعات العالمية المهمة، بالإضافة إلى المعلومات التي تصله عبر زواره من العراقيين والمؤمنين الذين بدأوا بالتوافد إلى لندن، كما أنه كان يتلقّى بعض الاتصالات الهاتفية من كبار وكلائه المنتشرين في العالم. وكان يصلنا يومياً أرشيف متكامل يُسحب من الأنترنت عما تنشره الصحافة العربية والعالمية حول الأزمة، وكان سماحته يطّلع على الضروري منه.

القيادة الايرانية تبرق للسيد السيستاني:

وقد أبرق سماحة السيد الخامنئي لسماحة السيد برسالة يدعو له بالصحة والعافية، وقد نُقلت الرسالة هاتفياً للسيد جواد الشهرستاني، عبر الشيخ الأختري من طهران فكتبها بيده، قبل أن تملنها وكالة الأنباء الإيرانية، وهذا نص الرسالة مترجماً:

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ

حضرة آية الله الحاج السيد علي السيستاني دامت بركاته

إنّ الأنباء التي تحدثت عن الوعكة الصحية التي ألمّت بكم

أقلقتنا كثيراً. نسأل الله العلي القدير أن يمنّ عليكم بالعافية والشفاء العاجل. ويعيد لوجودكم المحترم ـ الذي هو الملاذ المعنوي للشعب العراقي ـ الصحة والسلامة.

إنّ حضرتكم كنتم دائماً وعلى مدى السنوات الماضية سنداً معنوياً وروحياً للشعب العراقي المظلوم، وما زلتم كذلك رغم إرادة الأعداء وكيد ذوي النوايا السيئة، وأنّ الدعاء لكم هو دعاء لسعادة الشعب العراقي.

أسأل الله العلي القدير أن يرفع كيد الأجانب والمحتلين الظالمين المعتدين عن الشعب العراقي وكل الشعوب الإسلامية.

سيد علي خامنه اي

١٣٨٣/٥/٢١

(انظر الوثيقة رقم ١٦).

في الساعة الثانية وأربعين دقيقة ظهراً اتصلتُ بالدكتور موفق الربيعي، وتحدث معه السيد محمد رضا، فأخبره الربيعي بأن السيد مقتدى الصدر أرسل له عشرة شروط، منها: جعل النجف محمية حوزوية... وأضاف الربيعي أنّ هناك آلافاً من الناس دخلوا إلى مدينة النجف قادمين من مدينة الصدر وبقية المحافظات، وأن الشرطة العراقية والقوات المتعددة الجنسيات كانت مُحرَجة إمّا أن تمنعهم فتحصل مجازر، أو تسمح لهم بالدخول... فسمحت لهم بالدخول، والوضع متأزم والأمور مفتوحة على كل الاحتمالات.

في مستشفى (هيرفلد) لإجراء عملية القسطرة:

الساعة الثالثة ظهراً، هو الموعد المقرر لننتقل بسماحة السيد إلى مستشفى (هيرفلد) التخصصي بأمراض القلب. السيد محمد رضا أخبر سماحة السيد بمضمون اتصال الدكتور الربيعي، وسوء الأوضاع في النجف. رأيت التألّم على وجه سماحة السيد. عاتبتُ السيد محمد رضا في أننا بعد دقائق سوف ننقل سماحة السيد لإجراء العملية، ألم يكن من الأفضل عدم إخباره الآن وتأجيل الأمر إلى حين الانتهاء من العملية؟ هذا الامتعاض يمكن أن يؤثّر على صحة سماحة السيد، وعلينا أن لا ننسى أنه مريض بالقلب.

فقال: أنا حريص على إخبار سماحة السيد بمجريات الأحداث رغم كل شيء.

بالفعل، الساعة الثالثة ظهراً غادرنا مستشفى (ولينغتون) باتجاه مستشفى (هيرفلد)، كنّا مع سماحة السيد بالإضافة إلى السيد محمد رضا، السيد جواد الشهرستاني والسيد مرتضى الكشميري، والفريق الطبي، ومجموعة من خواص الأصدقاء. استغرق الطريق إلى مستشفى (هيرفلد) حدود الساعة.

وصلنا الساعة الرابعة إلى مستشفى (هيرفلد)، ودخل سماحة السيد إلى الغرفة المُعدّة له، زاره رئيس قسم الجراحة القلبية في المستشفى، وكان إيراني الجنسية إسمه الدكتور أصغر خاقاني.

شرح الدكتور محمود البربير لسماحة السيد ماذا سيحدث، وأخبره أن موضع العملية سيكون ما بين الفخذ والبطن، وإنها

ستستمر بعض الوقت، وأنه بإمكانه النظر إلى (جهاز تلفزيون) موجود في أعلى السرير ليشاهد العملية، باعتبار أن التخدير موضعي.

الدكتور أصغر خاقاني ـ رئيس قسم الجراحة ـ قال لسماحة السيد: إذا أحببتم أن أشرح لكم أيضاً ماذا سيجري؟ قال سماحة السيد: لا حاجة، قد عرفت، أنا قضيت خمساً وخمسين سنة من عمري في النجف، والآن النجف تحترق، فكري كلّه هناك، سوف لن أشاهد شاشة التلفاز لأن فكري كلّه هناك.

سأل سماحة السيد الطبيب الإيراني من أين أنت؟ فأجابه أنا من تبريز، وتركت إيران منذ سنوات طويلة، وأعيش في بريطانيا. فدعا له سماحة السيد بالخير والتوفيق.

في الساعة الخامسة وخمس دقائق أدخلوا سماحة السيد إلى غرفة العمليات، ودخل معه إليها إضافة إلى أطباء المستشفى، الفريق الطبي الخاص، أذكر منهم: الدكتور هشام الحسن والدكتور محمود البربير والدكتور مجيد المصطفى، وكنا جميعنا ننتظر في الرواق جانب غرفة العمليات، لا نملك إلّا الدّعاء.

في الساعة الخامسة وخمس وعشرين دقيقة خرج الدكتور مجيد المصطفى وقال: كما توقّعت، كلّ شيء سليم، ما عدا الشريان الأيسر، يوجد فيه تضيّق بنسبة ستين بالمائة، ورأينا أن ندخل بالوناً يفتح الشريان، ثم نُدخل شبكة، فما هو رأيكم؟ فقال السيد محمد رضا: ما دام الرأي الطبي كذلك، توكّلوا على بركة الله.

وللتاريخ أسجّل: أنّ الدكتور مجيد المصطفى أصرّ على رأيه في

مرحلة تشخيص العلاج، وعارضه أطباء بريطانيون مشهورون، ولكن بعد (القسطرة) تبيّن أن رأيه هو الصواب. إن دلّ هذا الأمر على شيء، إنّما يدلُّ على أن العراق بخير، وأن فيه من الطاقات العلمية ما يدعونا للفخر والاعتزاز، وأنّها تحتاج إلى رعاية وعناية ودعم، ولكن للأسف الشديد، بدل ذلك، فقد تعرّض الدكتور مجيد ـ بعد عودته إلى العراق بأشهر ـ إلى محاولة اغتيال نجا منها بأعجوبة، حيث هاجمه مسلّح في مكتبه بمركز أمراض السكري ببغداد، وأصابه بعدّة طلقات نارية، في بطنه ويده، بقي بعدها قيد المعالجة في بغداد وعمّان ولندن، شافاه الله وعافاه، اضطُرَّ بعدها لترك العراق والسفر إلى إحدى دول الخليج للعمل في مركز دراسات طبي!!

سماحة السيد يفكّر بالعراق قبل العملية وبعدها..

في الساعة الخامسة وخمسين دقيقة خرج سماحة السيد من غرفة العمليات، واستقرّ في غرفته. جاء الفريق الطبي بعد فترة إلى غرفة سماحة السيد، بينهم الدكتور محمود البربير، وهو من الأطباء الذين اختلفوا في الرؤية مع الدكتور مجيد المصطفى، حينها طلب سماحة السيد الاستشارة الإضافية.

سماحة السيد سأل الدكتور محمود: كان رأيكم خلاف الواقع، وهذا ما تبين خلال عملية القسطرة فماذا تقولون؟ فأجابه الدكتور محمود: كان هذا تشخيصي للحالة، وأنتم أمرتم بالاستشارة، واستجبنا لكم، وهذه فائدتها.

فقال سماحة السيد: صحيح، يا ليت كل شؤون العراق تُحلّ بالمشاورة وليس بالتزمّت والرصاص.

كم كان سماحة السيد كبيراً... قبل دخوله غرفة العمليات كان يفكر بالعراق، وبعد خروجه منها يفكر بالعراق...

تقرر أن يخلد سماحة السيد للراحة، حتى الغد، ثم يُنقل بعدها إلى مستشفى (ولينفتون).

في يوم السبت ٢٠٠٤/٨/١٤، الساعة التاسعة والنصف صباحاً انتقلنا بسماحة السيد من مستشفى (هيرفلد) إلى مستشفى (ولينفتون) التي وصلناها حدود الساعة العاشرة والربع.

استمرار المساعي والاتصالات السياسية

في الساعة العاشرة وخمس وعشرين دقيقة اتصل الدكتور موفق الربيعي وتحدث مع السيد محمد رضا وقال له: هناك مسودة اتفاق من عشرة بنود، وقرأها على مسامع السيد محمد رضا. وكان تعليق السيد محمد رضا: «إن ما أقوله الآن هو ملاحظات شخصية، وليس رأي المرجعية، تخصيص الخدمات لمدينة النجف ـ كما ورد في المسوّدة ـ لا داعي له، ويفترض أن تشمل كافة مدن العراق، أمّا البند الذي يتحدث عن أنّ حماية مدينة النجف يكون بإشراف ممثل المرجعية، أعتقد أنّ سماحة السيد لا يتدخل بهذا الأمر، لأن شؤون الأمن من مسؤولية الدولة، وأكدّ له ثانيةً: إنّ هذه آراء شخصية، ويجب أن لا تُنقل على أنها رأي المرجعية، وتمنّى له التوفيق والنجاح في حلّ الأزمة.

في الساعة الواحدة والنصف اتصل موفق الربيعي وقال: لقد فشلت المفاوضات.

في الساعة السادسة والنصف، انتقل سماحة السيد إلى قسم العيون في المستشفى، لإجراء فحوصات لعينه اليمنى، وبقي هناك حدود الساعة، تقرّر بعدها أن تُجرى عملية لنزع عدسة العين ووضع عدسة أخرى بدلاً عنها، وذلك يوم الإثنين المصادف ٢٠٠٤/٨/١٦.

في الساعة السابعة وأربعين دقيقة مساءً، اتصل أحد الأصدقاء ـ وهو باحث عراقي ناشط قريب من التيار الصدري، كان قد رافق الدكتور موفق الربيعي من بغداد إلى النجف لمساعدته في حل الأزمة ـ وتحدث مع السيد محمد رضا السيستاني، وشرح له حيثيات مسوّدة الاتفاق وبنوده، وبعد جهد جهيد وافق الدكتور الربيعي عليها، ووقّعها السيد مقتدى الصدر، وعندما أتينا بالورقة للدكتور الربيعي اتصل ببغداد فلم يوافقوا، فرفض التوقيع عليها، وأعلن فشل المفاوضات.

فأجابه السيد محمد رضا: على كل حال، بذلتم جهداً طيباً، جزاكم الله خير الجزاء.

في الساعة الرابعة عصراً اتصل الدكتور حسين الشهرستاني بالسيد محمد رضا وأخبره أنه اجتمع بالأخضر الإبراهيمي، وأن ثمة احتمال جيد لإمكانية تفعيل تدخّل الأمم المتحدة، وأنه عرف بأن الدكتور أياد علاوي كان يمكن أن يوافق على الاتفاق ولكن فريق عمله عارض الموافقة عليه.

يوم الأحد ٢٠٠٤/٨/١٥ وفي الساعة الثانية عشرة ظهراً استقبل سماحة السيد الدكتور إبراهيم الجعفري، ودار الحديث عن الأزمة الجارية في النجف. فقال الجعفري: هذه فتنة كبيرة يا سيدنا، وفيها شبهات. فقال سماحة السيد: الشبهات على عموم الناس، أما أمثالك

يفترض أن لا تكون لديهم شبهة، أنت رئيس حزب، وطبيب، وناشط سياسي، يفترض أن تعلم الحق من الباطل، وتتصدّى لتعالج الأمور. فأجابه الجعفري: سيدنا، يقول جدك الإمام زين العابدين ﷺ في وصف بعض الفتن: فتنة يتيه فيها الحليم. فتبسم سماحة السيد وقال: الإمام السجاد ﷺ قال: (الحليم) ولم يقل (العليم)، ويُفترض أنك بمقام (العليم).

سماحة السيد يخضع لعملية في عينه:

يوم الإثنين ٢٠٠٤/٨/١٦، في الساعة الرابعة وخمسين دقيقة عصراً أُدخل سماحة السيد إلى غرفة العمليات لإجراء عملية نزع عدسة العين اليمنى ووضع عدسة صناعية بدلاً عنها، وخرج من غرفة العمليات، الساعة الخامسة وعشرين دقيقة. وقد تمت العملية في مستشفى (ولينغتون).

التفكير بالعودة إلى النجف:

من هذا اليوم ـ الإثنين ٢٠٠٤/٨/١٦ ـ بدأنا التفكير بطريق العودة إلى العراق، رغم قساوة المعارك الدائرة في النجف، لأنّ سماحة السيد كان قد أبلغنا رغبته في مغادرة لندن حال الانتهاء من العلاج، وقد استبعدنا خيار العودة عبر (لبنان) لأن المسائل من الصعب أن تترتّب بالصورة التي تمت سابقاً بعد كل ما حدث، واتّجه تفكيرنا أن نعود عبر (سوريا) أو (الكويت).

مساء هذا اليوم استخار سماحة السيد على العودة عن طريق (الكويت) ثم عزم على ذلك.

وكان السيد جواد الشهرستاني قد استقبل ـ في المكان المهيّأ لاستقبال الوفود والشخصيات ـ كثيراً من الشخصيات الإسلامية والعربية والدبلوماسية، منهم سفراء لبنان وسوريا والكويت وغيرهم.

وكان أمير دولة الكويت الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح قد أرسل رسالة تهنئة لسماحته بعد نجاح العملية التي أجراها، وكذلك كلّ من رئيس مجلس الوزراء الكويتي صباح الأحمد الجابر الصباح، ونائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع الكويتي جابر مبارك الحمد الصباح، وقد نقل هذه الرسائل القائم بالأعمال الكويتي في لندن السيد عبد العزيز العدواني.

اتصل السيد جواد الشهرستاني بالسيد عبد العزيز العدواني، وأخذ لي موعداً معه صباح اليوم التالي في السفارة الكويتية في لندن، من دون أن يطلعه على سبب الزيارة.

وكنا قد اتفقنا أن يبقى موضوع عودة سماحة السيد قيد الكتمان حتى اللحظات الأخيرة.

في السفارة الكويتية في لندن

يوم الثلاثاء ١٧/٨/٢٠٠٤، الساعة التاسعة والنصف، توجهتُ إلى السفارة الكويتية في لندن، بمفردي. استقبلني القائم بالأعمال الكويتي السيد عبد العزيز العدواني، وهو شاب في مقتبل العمر، بدا لي حيوياً وديناميكياً إلى أبعد الحدود، استطاع أن يرفع حواجز اللقاء الأول المعتادة بمزيج من حرارة الاستقبال ولياقة الدبلوماسي ودقّته.

أخبرته أن سبب الزيارة هو مفاتحته بموضوع دقيق وحساس،

متمنياً عليه أن يبقيه قيد السرية، وهو رغبتنا بعودة سماحة السيد السيستاني دام ظله إلى العراق عبر دولة الكويت بعد انتهاء فترة العلاج.

بدت المفاجأة واضحة في عينيّ الأخ عبد العزيز، وأجزم بأنه لم يكن يتوقّع أن يكون سبب الزيارة هو ما سمعه مني. فبادرني بلباقة مميزة، بأن هذا شرف كبير، وعلى الرحب والسعة، ولكن عليّ أن أبلّغ حكومتي، وسأتصل بك بأقرب فرصة. فأجبته: هذا هو الصحيح، وأنا بانتظار اتصالك، وأكّدتُ على سريّة المهمّة، وزوّدته برقم هاتفي الجوال.

بعد حوالي ساعتين اتصل بي الأخ عبد العزيز العدواني وأخبرني، بأن سمو أمير دولة الكويت، وسمو رئيس مجلس الوزراء، يوجهون لسماحة السيد كل الاحترام والتقدير، وهم يرحبون بالزيارة، ويعرضون تقديم طائرة خاصة لنقله إلى الكويت. شكرته وبلّغته شكرنا لهم، واعتذرت عن مسألة الانتقال بطائرة خاصة، لأن الأقرب لمزاج سماحة السيد الانتقال بشكل طبيعي، وعلى نفقته الخاصة، وأنني سأبحث معه تفاصيل الموضوع يوم غد صباحاً، وليس على الهاتف.

فأجابني بلياقة تامة: نحن جاهزون، وفق أي صيغة يراها سماحة السيد مناسبة.

يوم الأربعاء ١٨/٨/٢٠٠٤، الساعة التاسعة والنصف صباحاً، كنت في السفارة الكويتية في لندن، وكان معي أربعة جوازات سفر، عائدة لسماحة السيد، وللسيد محمد رضا، ولي، وللدكتور مجيد المصطفى، الذي أخذت جواز سفره منه وهو لا يعلم السبب. أعطيت الجوازات للأخ

عبد العزيز كي يأخذ المعلومات اللازمة لتجهيز تأشيرات الدخول إلى الكويت، وشرحت له حيثيات الموضوع، ودقّة المسألة، وارتباطها بالأوضاع المتوتّرة، وتداعيات خبر العودة سلباً وإيجاباً على ما يجري في العراق، وبدا متفهماً للظروف، ومتابعاً للأحداث.

كما أبلغته شكر سماحة السيد للمسؤولين في دولة الكويت على مبادرتهم ورغبتهم بتقديم طائرة خاصة لنقل سماحته، وشرحت له منهج سماحة السيد في التعاطي مع هذه الأمور، وأنه يفضّل السفر الطبيعي بالإمكانات الخاصة، وهذا ما حدث في الانتقال من بغداد إلى لندن.

وتدارسنا نوع الخطوط الجوية التي يمكن أن نغادر عليها من لندن إلى الكويت، وتبيّن أن هناك الخطوط الجوية الكويتية والخطوط الجوية البريطانية، وتكفّل هو بمتابعة الموضوع، وإعلامي بما يستجد.

في الساعة العاشرة والنصف خرج سماحة السيد من مستشفى (ولينغتون)، وكان قد تقرر أن يقيم سماحة السيد في منزل أحد المؤمنين من (الخوجة)، ويقع خارج لندن، في منطقة تبعد عنها حدود أربعين ميلاً اسمها (ستان مور).

في هذا اليوم تواصلت مع الأخ عبد العزيز العدواني هاتفياً عدة مرات بخصوص الحجوزات على الطيران الكويتي.

المرجعية ترفض اقتحام النجف

مساءً، اتجهت الأمور نحو الحسم العسكري في النجف الأشرف، خصوصاً بعد فشل وفد المؤتمر الوطني العراقي برئاسة السيد حسين

السيد هادي الصدر اللقاء بالسيد مقتدى الصدر، والمشكلة كانت هي عدم ثقة الحكومة بأنّ ما يصرح به قادة التيار الصدري يمثل حقيقة وجهة نظر السيد مقتدى الصدر.

وبعد اتصالات حثيثة تبيّن أنّ الحكومة العراقية مصمّمة على خيار الحسم العسكري وأنها تعتقد أن موافقة السيد مقتدى الصدر عبر الشيخ أحمد الشيباني في وسائل الإعلام على مبادرة المؤتمر الوطني المؤقت هي غير جدية، وعليه فالاتجاه للحسم العسكري. في تلك اللحظات أبلغ سماحة السيد عبر السيد محمد رضا رسالة واضحة للمعنيين، مفادها: **يجب التأكد من موقف السيد مقتدى الصدر عبر إرسال موفدين له، ليوقّع على ورقة فيها البنود التي وافق عليها، ولا يجوز اقتحام النجف عسكرياً، بدعوى أن موافقة السيد مقتدى الصدر غير مضمونة، وليكن معلوماً للجميع بأننا سوف لن نسكت.**

وفي الحقيقة كان لهذا التحذير أثر مباشر في العدول عن اقتحام النجف عسكرياً في تلك الليلة. فقد اتصل بعدها الدكتور موفق الربيعي وأخبرنا، بأنه تمّت الموافقة على تكليف وائل عبد اللطيف والشيخ محمد مهدي الآصفي، ليزورا السيد مقتدى، فإذا كان موافقاً حقاً فليوقّع على الورقة، وإلّا فإن الحكومة سوف تستخدم الخيار العسكري، وعلّق موفق الربيعي بأن المرجعية كان لها الأثر الكبير في حسم المسألة بهذا الاتجاه.

اشتعال المعارك في النجف، وجهود المرجعية لحل الأزمة

ظهر يوم الخميس ٢٠٠٤/٨/١٩، عنفت المعارك في النجف الأشرف واشتدّت، وتكثفت معها الاتصالات من كل حدب وصوب، وبدا





أن توجه الحكومة العراقية يسير باتجاه الحسم العسكري.

اتصلنا بموفق الربيعي وسألناه عن سبب عدم ذهاب وائل عبد اللطيف والشيخ محمد مهدي الآصفي إلى السيد مقتدى؟ ولماذا إصرار الحكومة العراقية على خروج السيد مقتدى الصدر شخصياً على إحدى الفضائيات ليعلن موافقته على مبادرة المؤتمر الوطني المؤقت؟ وبدا أن الدكتور موفق الربيعي لا يستطيع أن يفعل شيئاً، خصوصاً وأن الدكتور علاوي كان قد عقد مؤتمراً صحفياً وحدد مسار الأمور.

كان جهد المرجعية ينصبُّ في تلك الساعات باتجاه «استنفاذ كامل الجهود من أجل حلّ الأزمة سلمياً».

اتصلنا بالسيد حسين السيد هادي الصدر، وقد حثّه السيد محمد رضا باسم سماحة السيد على مواصلة الجهود لحل الأزمة سلمياً، حتى لو اقتضى ذلك الذهاب ثانية إلى النجف، وحدثتُه شخصياً فقال: «الحجي بيناتنا[1] لا توجد مصلحة في أن أذهب إلى النجف مرة أُخرى، يجب أن يظهر السيد مقتدى على إحدى الفضائيات ويُعلن موقفه بالموافقة».

رسالة السيد الخامنئي إلى السيد السيستاني والجواب عليها

عصراً اتصل الشيخ الأختري من طهران، ونقل رسالة من السيد الخامنئي إلى السيد السيستاني عن طريق الهاتف، كان الشيخ الأختري يملي الرسالة، والسيد محمد رضا يدونها كلمة بكلمة.

وترجمة نص الرسالة هو:

«الوضع في النجف يقترب من لحظة حساسة جداً. وما يقع هناك فهو أمر سيء جداً للشيعة. إذا كان السادة المراجع هنا[2] وأنا لا نُقدِم على شيء فهو من أجل سماحتكم. لا نريد أن نتّخذ موقفاً يُحتمل أنه يتمارض مع موقفكم. ولكن في نظرنا أنه يلزم أن توجهوا كلاماً قويًا إلى الحكومة العراقية. وأي شيء يحدث اليوم فهو غير قابل للجبر ولا يمكن تحمّله.

(١) اي الكلام بيننا

(٢) المقصود مراجع الدين في ايران.

لا سمح الله، لو قُتلت هذه المجموعة، وأُريق دم السيد مقتدى هناك، الشعب العراقي والشيعة سوف يقولون: العلماء جلسوا، وشاهدوا وهؤلاء قتلوا. يجب أن يكون هناك حل ما. حتى بعد قبول كافة الشروط[1] جاءوا وطرحوا مطالب جديدة... أنا أنتظر جوابكم».

(انظر الوثيقة رقم ١٧)

اطّلع سماحة السيد السيستاني على الرسالة، وبعد ساعة أجاب عليها.

اتصل السيد محمد رضا هاتفياً بالشيخ الأختري، وقرأ عليه نص الرسالة، وكان الشيخ الأختري يدوّنها كلمة بكلمة.

ونص الرسالة مترجماً:

«أنا أتابع الوضع في النجف ساعة بساعة. وبعد موافقة السيد مقتدى على مطالب المؤتمر الوطني العراقي، أبلغنا رئيس وزراء العراق بشكل صريح بأنه لا توجد أي حجّة وسبب للاستمرار بالعمليات العسكرية، ويجب الاستفادة من هذه الفرصة لوقف نزيف الدم في النجف، وفي غير هذه الحالة فإن المرجعية سوف تتخذ موقفاً حازماً وشديداً.

في الساعات الماضية كنا على اتصال دائم بالمسؤولين العراقيين، وبكافة الأشخاص الذين لهم علاقة بالمسألة. المسؤولون يصرّون على ضرورة أن يوافق السيد مقتدى شخصياً على المبادرة المعلنة.

---

(١) اشارة إلى قبول مساعدي السيد مقتدى الصدر لشروط مبادرة المؤتمر الوطني العراقي المؤقت.

أتصور لو أن هذا الأمر يحصل، فهو يؤسس لخطوة مهمة لإنهاء الوضع المأساوي في النجف.

إذا كان سائر السادة[1] يستطيعون أن يقدموا على ما يساعد حل أزمة النجف، فهو عمل في محلّه ومناسب جداً، لأن منع وقوع فاجعة كبيرة في النجف وظيفة الجميع والسلام». (انظر الوثيقة رقم ١٨)

مفاتيح الحرم العلوي، بين أخذ ورد

في الساعة السابعة والنصف صباحاً من يوم الجمعة ٢٠/٨/ ٢٠٠٤، تحركنا مع سماحة السيد من المنزل الذي كنا نقيم فيه إلى مستشفى (ولينغتون)، لمراجعة طبيب العين، وعدنا إلى المنزل الساعة العاشرة والنصف.

في صباح هذا اليوم أعلن الشيخ أحمد الشيباني أنهم قرروا تسليم مفاتيح صحن الإمام علي ﷺ إلى المرجعية الدينية، وأنه توجّه لمكتب السيد السيستاني في النجف من أجل تسليم مفاتيح الحرم العلوي. اتصلنا بمكتب سماحته في النجف، وسألناهم عن الأمر. فقالوا: نعم جاء الشيخ أحمد الشيباني، وتحدّث مع الحرس، وقال لهم: تعالوا بعد نصف ساعة واستلموا الصحن الشريف. وقد انقضت الآن خمسون دقيقة.

نوقش الأمر على عجل، وتقرر أن يكون الردّ هو: «إذا رغب

(١) المقصود مراجع الدين في ايران.

الأخوة في مكتب الشهيد الصدر بإخلاء الصحن الحيدري الشريف وإغلاق أبوابه، فإننا ـ لأجل مساعدتهم، ومساهمة من المرجعية في حل الأزمة سلمياً ـ سوف نستلم المفاتيح، بعد وضعها في ظرف، ويختم هذا الظرف بحضور شهود».

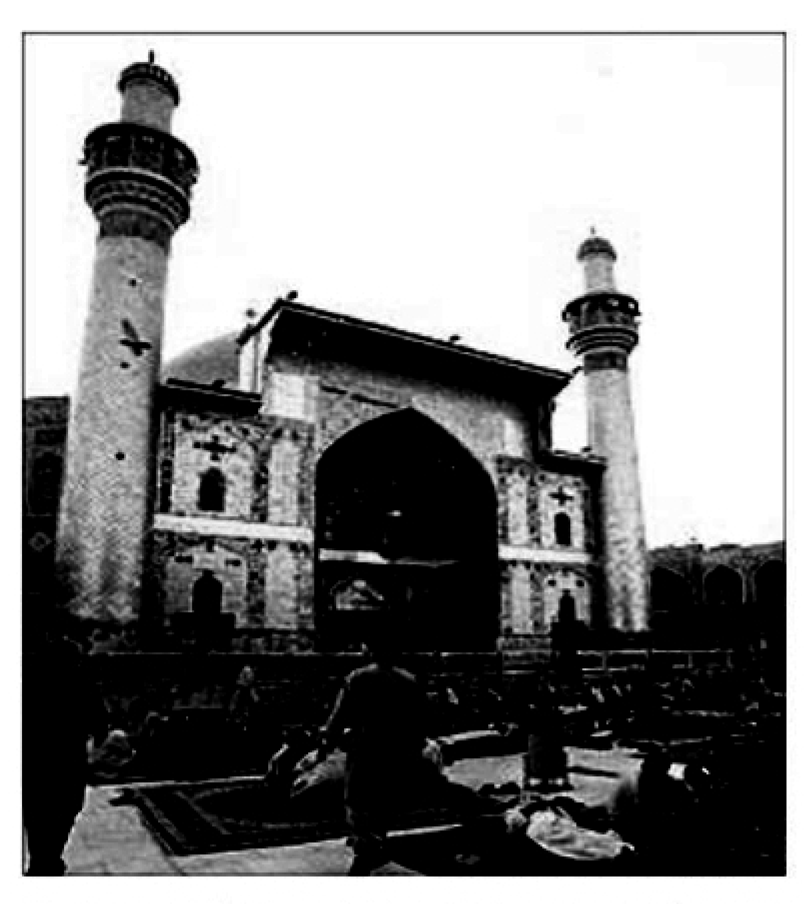
وأبلغنا مكتب سماحة السيد في النجف بذلك.

والحقيقة أن هذا الموقف اتُّخذ، لأن المرجعية لا يمكنها تَسلُّم الحرم العلوي والمعارك دائرة. النجف كانت آنذاك خالية، والشخصيات الدينية أو الاجتماعية المطلوبة لجرد المحتويات الداخلية غير متوفرة، وفي أجواء القتال لم يكن بالإمكان تهيئة الأشخاص اللازمين لاستلام الحرم، ثم إن المقاتلين لا يزالون داخل الحرم العلويّ!! وفي الوقت نفسه لم نرغب أن يكون ردّنا سلبياً، فتبدو المرجعية وكأنها تعرقل الحلول. وعلى هذا الأساس اتُّخذ القرار المذكور.

أدليت لقناة العربية بهذا الرأي، كما أبلغ مكتب سماحة السيد في النجف الشيخ علي سميسم والشيخ أحمد الشيباني بالرّد.

في الساعة السادسة مساءً اتصل السيد محمد آل يحيى، وهو من أعضاء مكتب سماحة السيد في النجف، وأخبرنا بأنهم لم يتسلّموا أي شيء حتى الآن، وبدا أن الأخوة في التيار الصدري تراجعوا عن قرارهم.

ثم أعلن الأخوة في التيار الصدري أنهم بصدد تشكيل لجنة



يكون فيها ممثل للمرجعية الدينية لجرد المحتويات ومن ثم تسليم الحرم. فأكّدنا الموقف السابق الذي أعلنّاه.

في هذا الوقت بدأت وسائل الإعلام تثير مسألة المفاتيح بشكل غريب، بحيث بدا الوضع وكأن المشكلة على مفاتيح الحرم العلوي!! مما اضطرني للظهور إعلامياً على قنوات الجزيرة والعربية وLBC

من أجل توضيح المسألة، وتأكيد عدم تسلّمنا أية مفاتيح، خصوصاً بعدما نشرت وسائل الإعلام خبر تَسلّم مكتب سماحة السيد في النجف هذه المفاتيح.

سماحة السيد يرفض الإيعاز لعائلته الخاصة بمغادرة النجف:

من الأمور التي لا يعرفها كثيرون، أنّ عائلة سماحة السيد السيستاني الخاصة ـ أي زوجته وبناته، وولده السيد محمد باقر وعائلته، وأولاد السيد محمد رضا ـ بقيت في النجف أي في منزل سماحة السيد طيلة فترة الأزمة، رغم القصف العنيف الذي طال تلك المنطقة التي تبعد حوالي خمسين متراً عن الحرم العلوي. ومع اشتداد المعارك، والقصف العشوائي تكثّفت الاتصالات على سماحة السيد تطلب منه بأن يوعز لعائلته بالخروج من النجف، لأن العائلة كانت ترفض الخروج. سماحة السيد رفض أن يطلب منهم الخروج من النجف القديمة إلى أحيائها الجديدة أو إلى كربلاء كما اقترح البعض، وقال: هذا شأنهم إذا ارتأوا أن يخرجوا فليخرجوا أنا لا أطلب منهم ذلك. وبالفعل فقد بقيت عائلة سماحة السيد في منزله ولم تغادره حتى انتهاء الأزمة، ولن أبالغ إن قلت أن تسعين بالمائة من النجفيين كانوا قد غادروا المدينة القديمة لأن الوضع فيها أصبح لا يطاق.

وللتاريخ أقول: إن سماحة السيد السيستاني ـ دام ظله ـ لم يساو نفسه حتى بعموم النجفيين الذين غادروا مع عوائلهم، وهو أمر

طبيعي في تلك الظروف العصيبة، وإنما تقدّمهم في الصبر على المحن والبلاء، مساوياً نفسه بضَعَفَة الناس الذين قد لا يستطيعون إخراج عوائلهم من منطقة القتال. وبعد عودتنا إلى النجف شرح لي بعض الأخوة من حماية مكتب سماحة السيد ما عانته العائلة الكريمة في تلك الفترة من خوف ورعب وانعدام للأمن وفقدان الحاجات الضرورية من مشرب ومأكل، وانقطاع الخدمات العامة من ماء وكهرباء وغيرها.

كل ذلك، وسَيْل الاتهامات الظالمة كان يصل إلى مسامع سماحة السيد، فيما يتعلّق بمغادرته النجف، والتشكيك بعودته إليها، وهل يُصدّق عاقل أن يترك سماحة السيد عائلته في النجف؟! لو لم تكن الأمور طبيعية وعادية. ولكن شاء الله أن يُتّهَم الأبرار، وأن يصبروا على البلاء، وأن يحتسبوا ذلك في عين الله.

سماحة السيد يستقبل بعض الزائرين

في يوم السبت ٢٠٠٤/٨/٢١، استقبل سماحة السيد عدة زائرين منهم: الاستاذ مهدي التاجر يرافقه ولده ماهر، وهو شخصية اجتماعية واقتصادية إماراتية معروفة. كان اللقاء في تمام الساعة التاسعة وأربعين دقيقة صباحاً وانتهى الساعة العاشرة وعشر دقائق.

بدأ مهدي التاجر بالسؤال عن صحة سماحة السيد وأحواله، ثم تحدّث عن حبه وولائه لعلي بن أبي طالب ﷺ وأنشد:

لا عذّب الله أمي إنها شربتْ	حب الوصي وغذّتنيه باللبنِ
وكان لي والد يهوى أبا حسنٍ	فصرتُ من ذي وذا أهوى أبا حسنِ

وقال: أنّ أهم ما نفتخر به هو حبنا لعلي بن أبي طالب ﷺ.

فقال سماحة السيد: إن حب علي بن أبي طالب ﷺ بحد ذاته حسنة كبيرة، ولكن يجب على المحب أن يتحلّى بسيرة محبوبه ومعشوقه، وعليٌ ﷺ كان يُحب أصحابه، ويحب الفقراء، فهل نحن نتحلّى بسيرته؟ وأسهب سماحة السيد في الحديث عن المحبة والتكاتف والوحدة. ونقل أنه قرأ لمحمد حسنين هيكل ـ الكاتب المصري المشهور ـ قوله عن لقائه بأينشتاين ـ العالم المشهور ـ أنه سأله عن الحاكم الفعلي في مصر، هل هو محمد نجيب أم جمال عبد الناصر؟ فأجابه هيكل: إن جمال عبد الناصر هو الحاكم الفعلي في مصر. فقال أينشتاين: ما هو موقفه من أهلي؟! ـ وكان أينشتاين ألمانياً يهودياً ـ .

وأردف سماحة السيد: انظر إلى أينشتاين هو عالم كبير ولكنه متضامن ومتعاطف مع بني قومه. فهل نحن بهذا المستوى من التعاضد والتكاتف؟!...

ومن هذا المنطلق تحدث سماحة السيد عن العلاقة بين العلم والثقافة، وعن ضرورة الجمع بين العلم وعدم الانسلاخ عن الثقافة الأصيلة.

في ختام اللقاء قال مهدي التاجر: أنت ـ يا سيدنا ـ لست مرجعاً كبيراً فقط وإنما مثقف كبير أيضاً، وأبدى عتبه لأنّه لم يعطَ الفرصة لتقديم خدماته لسماحة السيد في هذه السفرة من مسكن وغير ذلك، خصوصاً وأنه دأب على تقديم هذه الخدمات للعلماء الكبار الذين يزورون لندن عادة.

شكره سماحة السيد على عواطفه وقال له: عندما تقدّم هذه الخدمات لهؤلاء العلماء، فكأنما قدمتها لي.

ثم استقبل سماحة السيد حدود الساعة الحادية عشرة صباحاً وفداً من مثقفي الجالية العراقية في بريطانيا، وحدّثهم عن ضرورة التمسك بالهوية الثقافية والدينية لهم ولأولادهم، وأن لا ينسوا أنهم عراقيون، وأن العراق بلدهم الأساسي، وأنهم يجب أن يعودوا في يوم من الأيام من أجل المساهمة في بناء وخدمة بلدهم.

تحدّث أحد الحاضرين عن أن المتدينين المتمسكين بخط المرجعية يمثلون الأغلبية الصامتة، وأن من يقوم بأعمال الفوضى والتشويش هم أقلية، وأن آراء المرجعية تحظى بقبول طبقات الأمة كافة.

قال سماحة السيد: أنا أعتبر أن الجميع هم أولادي وإخواني.

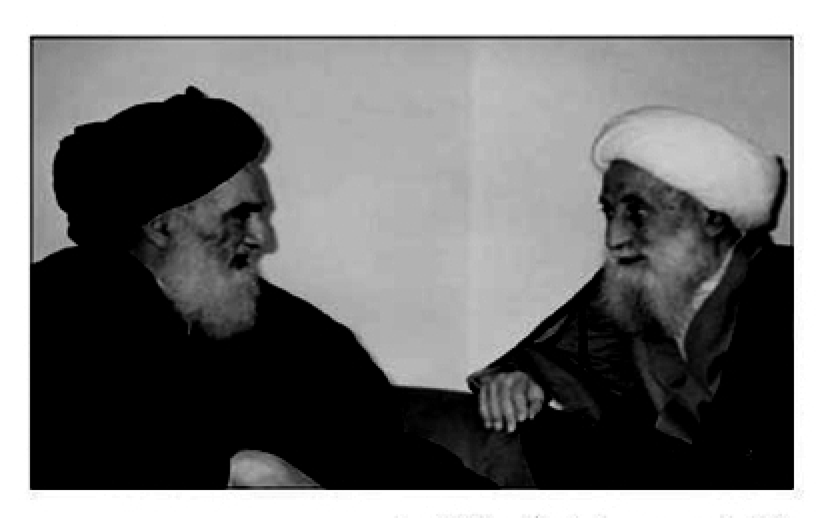
سماحة المرجع الديني الشيخ الميرزا جواد التبريزي يزور سماحة السيد السيستاني:

في الفترة نفسها، جاء إلى لندن سماحة المرجع الديني الشيخ الميرزا جواد التبريزي، وهو يعاني من مرض شديد، ليعالج في مستشفياتها. وأبلغَنا ولده الشيخ جعفر الذي كان يرافق والده، برغبته زيارة سماحة السيد.

في الساعة السادسة وخمس وخمسين دقيقة مساءً زار سماحة الشيخ الميرزا بصحبة ولده الشيخ جعفر سماحة السيد، واستغرق اللقاء فترة قصيرة.



بعد السلام تحدّث سماحة الشيخ الميرزا والتعب واضح على محياه من أثر المرض، وقد خنقته العبرة، قائلاً لسماحة السيد السيستاني: إن شاء الله سترجع إلى النجف الأشرف، وتحفظ الحوزة العلمية، ترجع إلى مرقد أمير المؤمنين علي ﷺ. فردّ سماحة السيد: أنا منذ أكثر من ست سنوات لم أتمكن من زيارة مرقد أمير المؤمنين ﷺ. ودعا لسماحة الشيخ بالصحة والعافية وقال له: إنني كنت أحب أن أزوركم، لا أن تأتوا أنتم لزيارتي. فأجابه سماحة الشيخ: لا فرق في ذلك.



اقتراح جديد لحل أزمة النجف

في الساعة الثامنة والنصف مساءً، اتصل أحد الأصدقاء من النجف بالسيد محمد رضا وقال: أقترح أن يأتي مبعوث من قبل الحكومة العراقية إلى النجف للتفاوض مع السيد مقتدى الصدر من دون ضجيج إعلامي، وأعتقد أنه خلال يومين يمكن التوصل إلى اتفاق على قاعدة شروط المؤتمر الوطني المؤقت. كما أن السيد مقتدى كان على استعداد أن يعلن موافقته على الشروط المذكورة لولا أن وزير الأمن الوطني قاسم داود خرج على شاشات التلفزة وصرّح بأن المطلوب: أن يُعلن السيد مقتدى موافقته على الاتفاق أمام الإعلام (بلحمه وشحمه ودمه). مما حدا بالسيد مقتدى أن يتراجع عن فكرة الموافقة وصعّد الموقف.

قال السيد محمد رضا: صحيح، أداء الحكومة لم يكن جيداً.

فعقّب عليه ذلك الصديق: السيد عبد العزيز الحكيم سوف يُساعدنا في مسألة إرسال مندوب من قبل الحكومة. فأجابه السيد محمد رضا: ونحن مستعدون للمساعدة أيضاً.

فقال: بالنسبة لموضوع مفاتيح الحرم العلوي، أتفهّم موقفكم لعدم رغبتكم في المشاركة في اللجنة التي اقترحها الأخوة في التيار الصدري من أجل جرد المحتويات واستلام الحرم، ولكنهم يقولون: يمكن أن تستغل الحكومة مسألة إخلاء الحرم وتستفيد من الموقف للاستيلاء على الحرم. فأجابه السيد محمد رضا: إذا أخلى الأخوة الصحن الشريف فإننا سوف نضغط على الحكومة في أن لا تقترب منه على الإطلاق.

وفد الحكومة العراقية يزور سماحة السيد:

في يوم الأحد ٢٠٠٤/٨/٢٢، استمرّت الوفود بزيارة سماحة السيد في محل إقامته، أذكر منها: وفد الحكومة العراقية برئاسة الدكتور زهير حمادي، الأمين العام لمجلس رئاسة الوزراء، يرافقه القائم بالأعمال العراقي في لندن رعد خليل، وسلّم الدكتور زهير حمادي رسالة موجهة من الدكتور أياد علاوي رئيس الوزراء العراقي إلى سماحة السيد.

بالإضافة إلى تسليم الرسالة، تمنّى الوفد لسماحة السيد الشفاء العاجل والعودة إلى أرض الوطن وتمنّوا عليه، أن يُخبر الحكومة العراقية بموعد عودته من أجل ترتيب استقبال رسمي كبير يليق

بسماحته. فشكرهم سماحة السيد على عواطفهم، وقال مبتسماً: هذه التشريفات لكم أنتم المسؤولون أعضاء الحكومة، أما أنا فخادم للشعب، والخادم لا يحتاج إلى استقبال ثم دعا لهم بالخير والموفقية.

في الساعة الثانية عشرة والنصف استقبل سماحة السيد، السيد عمار الحكيم القادم من العراق للمشاركة في احتفالات تأبينية تقام في لندن بمناسبة الذكرى السنوية لاستشهاد سماحة السيد محمد باقر الحكيم رحمه الله، وكان يرافقه وفد من المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق.

التفكير بالعودة السريعة... كرامة المرجعية أهمُّ من حياة المرجع

في الليل، كُنّا في دوامة من التفكير، فالأمور بدأت تزداد سوءاً في النجف، والمعارك اشتدّت أكثر، ولا يوجد أفق معقول لأية حلول. كنّا نتحاور، وندرس الاحتمالات كافة، ونضجت وتبلورت القناعة لدى سماحة السيد بضرورة العودة السريعة مهما كلّف الثمن. وكان السيد جواد الشهرستاني قد اقترح صباحاً، أنه في حال اتّخذ القرار بالعودة، فالمناسب أن يتوجه سماحة السيد إلى كربلاء، ليستقرّ فيها مؤقتاً، وتتحول نقطة انطلاق لمبادرة حل، هذه الحركة سوف تكون حركة اعتراضية من قبل المرجعية على ما يجري ويمكن تفعيلها شعبياً.

ناقشت الفكرة مع السيد محمد رضا، واقترحت أن يُطلق سماحة

السيد ـ من هناك ـ مبادرة تقوم على أساس: إيقاف القتال فوراً، وانسحاب القوات الأجنبية، وخروج مقاتلي جيش المهدي ـ من غير النجفيين ـ من مدينة النجف، وتشكيل لجنة لإدارة الحرم العلوي الشريف، ووضع الجميع أمام الأمر الواقع.

وبعد مراجعة سماحة السيد، قال السيد محمد رضا: كربلاء لا تفيد، يجب أن ننطلق من البصرة مباشرة إلى النجف، ونبقى على أبواب النجف، ونُحرج الجميع، ونرسل إلى السيد مقتدى الصدر ليلتقي سماحة السيد ويتفاهم معه، وننقذ النجف.

أيّدتُ الفكرة فوراً ـ لأنني كنت من المؤمنين بأننا يجب أن نفعل شيئًا استثنائياً للنجف ـ ولكنني نبّهتُ السيد محمد رضا أن هناك هامشاً من الخطورة على حياة سماحة السيد في هذه الفكرة. فأجابني: هذا معلوم، ولكن «كرامة المرجعية أهمّ من حياة المرجع». قال هذا في الإشارة إلى ما كان يجري من التجريح بالمرجعية حيث وصل في الأيام الأخيرة إلى أقصى حدوده، فلم تبق تهمة إلّا وأُلصقت بالمرجعية من الهروب والسكوت والخنوع والخيانة والجبن... والعياذ بالله، وممّا زاد في الطين بلّة أن حركة المرجعية الدؤوبة في لندن من خلال اتصالاتها بالأطراف المعنية، ومشاريع الحلول التي طرحتها ومحاولتها إنقاذ الوضع ـ كما مرّ ـ كانت تتم بهدوء ومن دون ضجيج إعلامي وبصمت، كعادة المرجعية وأسلوبها في العمل، ولم يكن يعرف بكل هذا التحرك إلّا المعنيين مباشرة، ممّا فسح المجال للطعن بالمرجعية واتهامها بأمور ما أنزل الله بها من سلطان.

يوم الاثنين ٢٠٠٤/٨/٢٣، الساعة السابعة وأربعين دقيقة صباحاً، خرجنا من المنزل الذي يقيم فيه سماحة السيد باتجاه مستشفى (ولينغتون) لمراجعة طبيب العين، ووصلنا إلى هناك الساعة الثامنة وخمس عشرة دقيقة. وبدأ الطبيب بإجراء الفحوصات اللازمة، وتبيّن أن هناك تحسناً بسيطاً في نظر العين.

سأل سماحة السيد الطبيب البريطاني ـ وكان الدكتور مجيد المصطفى يترجم الحديث ـ هل هناك ضرورة طبية لمراجعة أخرى؟ فأجابه الطبيب: لا أعتقد، ولكن هناك حاجة لفترة نقاهة، ومن الجيد أن نفحصك خلالها. أعاد سماحة السيد السؤال بدقّة أكثر: هل هناك حاجة عمليّة وواقعية لإجراء فحص آخر، بغض النظر، عن فترة النقاهة المطلوبة. أجابه الطبيب: لا أعتقد أن هناك حاجة لمثل هذا الفحص.

بعد انتهاء المعاينة، أشار سماحة السيد، إلى ضرورة ترتيب إجراءات العودة إلى العراق...

في طريق عودته إلى المنزل زار سماحة السيد، سماحة المرجع الديني الشيخ ميرزا جواد التبريزي في محل إقامته، وكذلك سماحة السيد تقي القمي ـ وهو من أصدقاء سماحة السيد القدماء ـ وكان قد وفد إلى لندن للمعالجة أيضاً.

في الساعة التاسعة وخمس عشرة دقيقة، ذهبت للقاء السيد عبد العزيز العدواني في السفارة الكويتية بلندن وأخبرته بنيّتنا الإسراع بالرجوع إلى العراق، ثمّ ناقشنا ترتيبات الرحلة.

سماحة السيد السيستاني يبعث برسالة خاصة للسيد مقتدى الصدر:

في الساعة العاشرة صباحاً، اتصل بي السيد حسين السيد هادي الصدر من بغداد، وقال: بناءً على اقتراحكم أن لا يُطالب السيد مقتدى بالظهور شخصياً للموافقة على الاتفاق وإنما يُكتفى بموافقته التحريرية، فقد تحركتُ وأخذتُ موافقة الحكومة العراقية، وأعلنتُ بوسائل الإعلام في مؤتمر صحفي: أن على السيد مقتدى الصدر أن يوثّق موافقته على شروط المؤتمر الوطني المؤقت بورقة ويختمها ويرسلها إلينا. وحتّى الآن لم يردّ السيد مقتدى على شيء. الآن الوضع خطير، والنجف مُقبلة على كارثة، فإن كان ثمّة طريق عند سماحة السيد لإبلاغ السيد مقتدى بالموضوع فإنني مستعد لأترأس وفد المؤتمر الوطني المؤقت وأذهب ثانية إلى النجف للقائه شخصياً، وإلّا فإن صبر الحكومة بدأ ينفد، وهم يتريثون لأن الاقتحام سوف يُدنس الحرم الشريف.

أجبته: سأنقل كلامكم لسماحة السيد، وأتصل بكم.

أخبرت السيد محمد رضا بالتفاصيل، وبدوره أخبر سماحة السيد بها، وبعد دراسة الأمر، قرر سماحة السيد إرسال رسالة مباشرة للسيد مقتدى الصدر.

وكُتِبَت الرسالة، وفي الساعة الثانية عشرة وخمس عشرة دقيقة ظهراً، اتصل السيد محمد رضا بولده السيد محمد حسن في النجف،

وأملاها على مسامعه حيث دوّنها كلمة بكلمة على ورقة. وقال له: ليذهب الشيخ حيدر الحمزاوي ـ وهو من الطلبة القلائل الذين بقوا في مكتب سماحة السيد طيلة الأزمة ـ إلى الشيخ علي سميسم، وليبلغه الرسالة ويقول له: هذه رسالة سماحة السيد، تبلغناها هاتفياً من لندن، ودونّاها على الورقة زيادة في الدقة، وإذا لم يتيسّر له لقاء الشيخ علي سميسم، فليسلمها للشيخ أحمد الشيباني، وأعطونا الجواب سريعاً.

وهذا نصّ الرسالة:

«إن سماحة السيد يبلغ الأخ السيد مقتدى السلام ويقول:

إن الوضع في النجف مُقبل على كارثة ولا بد من تفاديها بأي ثمن، وإذا كان قد وافق على مطالب المؤتمر الوطني كما سَبَقَ لمساعديه الإعلان عن ذلك، فسماحة السيد يطلب منه أن يوافق سريعاً على أن يستقبلَ شخصياً وفداً من المؤتمر برئاسة السيد حسين الصدر وتزويد الوفد بوثيقة خطية بموافقته عليها».

في الساعة الرابعة عصراً أُبلغنا من مكتب النجف أن الشيخ حيدر الحمزاوي التقى الشيخ علي سميسم وأبلغه رسالة سماحة السيد. فأجابه الشيخ علي بأنه:

أولاً: هكذا ورقة موجودة وموقّعة من قبل السيد مقتدى (أي ورقة الموافقة على شروط المؤتمر الوطني المؤقت).

وثانياً: موضوع لقاء السيد حسين الصدر بالسيد مقتدى قد لا يتيسّر بسبب الوضع الأمني.

وثالثاً: لماذا لا تعلنون عن ذلك في وسائل الإعلام.

ورابعاً: الجواب الرسمي سوف ننقله لكم بعد إبلاغ السيد مقتدى بالرسالة.

اتصلت بالسيد حسين الصدر وأبلغته بما جرى، وأخبرته بأن هذه هي المرّة الأولى التي يطلب فيها سماحة السيد أمراً من السيد مقتدى.

قال: نعم، لأن المهم الآن هو إنقاذ النجف من الكارثة، وسألني: هل نعلن ذلك في الإعلام؟ فأجبته: فلننتظر جواب السيد مقتدى، ونقرر بعد ذلك.

اتصلت بالدكتور موفق الربيعي الذي كان قد أُعلن عن دخوله مستشفى ابن سينا إثر عارض قلبي ألمَّ به، كما كلّمه السيد محمد رضا واطمأن على صحته.

ترتيبات العودة إلى العراق عبر الكويت

تواصلت مع عبد العزيز العدواني فأخبرني أنه لا توجد حجوزات في الخطوط الجوية الكويتية ولا في الخطوط الجوية البريطانية حتى تاريخ ٢٠٠٤/٩/٥!!! إلا غداً ليلاً على مقاعد الدرجة الأولى في طائرة الخطوط الجوية البريطانية، وهي تُقْلِع الساعة

العاشرة ليلاً، وتصل الكويت الساعة السابعة صباحاً، فماذا أفعل؟ فأجبته: احجز المقاعد الأربعة على بركة الله.

يوم الثلاثاء ٢٠٠٤/٨/٢٤، زرت صباحاً السفارة الكويتية في لندن، والتقيت عبد العزيز العدواني، ووضعنا اللمسات الأخيرة على ما تبقّى من مستلزمات الإعداد للرحلة.سلّمني الجوازات مع تأشيرات الدخول إلى الكويت، إضافة إلى أربع تذاكر على الخطوط الجوية البريطانية، وأذكر له أنه عَرَضَ أن يتحمّلوا هم قيمة التذاكر، ولكنني شكرته واعتذرت وسلّمته قيمة التذاكر نقداً.

طلبت من عبد العزيز العدواني أن نعرّف لهم شخصاً يقيم في الكويت كي يدخل بسيارته إلى مطار الكويت، ويصطحبنا إلى الحدود، لأن سماحته لا يرغب في أي استقبال رسمي، وإنما يُفضّل الانتقال إلى الحدود بإمكانات خاصة وعادية. وقدّمتُ له اسم أحد الأصدقاء المقيمين في الكويت.

لقد كنت مُحْرَجاً وأنا أطرح هذه الأمور، ولكن نهج سماحة السيد الصارم في هذه المسائل يجعلنا نتحمل الحرج.

قال لي الأخ عبد العزيز: نحن تجاوبنا معكم في كل شيء، وسأرسل الآن اسم الشخص الذي حددتموه للخارجية الكويتية كي يتصلوا به ليأتي إلى المطار، علماً أن الوقت ضيق جداً، ولكن ليس من اللائق أن يدخل سماحة السيد إلى مطار الكويت ويستقبله ضابط، وهناك فترة لازمة لنقل الحقائب فهل ينتظر سماحته مع المسافرين؟! وهذا لا يصح بحسب عاداتنا، وإن أخلاقنا تأبى ذلك. فنحن نتمنى عليكم الموافقة أن يأتي لاستقبال سماحة السيد وزير

الديوان الأميري معالي الشيخ ناصر محمد الأحمد الجابر الصباح[1] في قاعة الشرف في المطار، ثم يرافقكم محافظ «حولّي» السيد الفريق المتقاعد عبد الحميد الحجي إلى الحدود الكويتية العراقية. وبدا لي كلامه منطقياً جداً فوافقت على طلبه.

قال لي: بقيت هناك مسألة، وهي أن سمو الأمير يرغب بتقديم سيارة مصفحة ضد الرصاص كهدية لسماحة السيد يستقلّها سماحته إلى مدينة النجف الأشرف. شكرته وشكرت سمو الأمير على محبته، واعتذرت عن قبول الهدية، وشرحت له ثانية منهج المرجعية في التعاطي مع هذه الأمور، وأخبرته بأنني سأنقل هذه المحبة لسماحة السيد.

الأخ عبد العزيز العدواني طلب أن يحضر في مطار هيثرو لتوديع سماحة السيد، فقلت له: على الرحب والسعة.

والحقيقة أن الأخوة الكويتيين تصرفوا بكامل اللياقة والأدب والأصول في كافة مراحل ترتيب موضوع السفر عبر دولة الكويت، واستجابوا لطلباتنا التي قد تبدو للوهلة الأولى جافّة بعض الشيء. وحتى عند وصولنا للكويت، فقد التزموا بكل ما اتفقنا عليه، ولم يسرّبوا خبر الزيارة إلى الإعلام.

الساعة الثانية عشرة والربع ظهراً عدت إلى المنزل، وكان سماحة السيد يستقبل سلطان البهرة السلطان محمد برهان الدين ـ وهم من الشيعة الاسماعيلية ـ وهو رجل يفوق عمره التسعين عاماً، مع وفد من أبنائه وحوارييه. قبل اللقاء تم تنبيه منسق اللقاء أن

---

(١) رئيس مجلس الوزراء الكويتي في فترة لاحقة.

سماحة السيد لا يستقبل هدية معينة منهم ـ لأنهم معروفون بتقديم هدايا ثمينة ـ إلّا إذا كانت (كتباً) فلا مانع.

عندما وصلت كان اللقاء في نهايته تقريباً.

شاهدت سلطان البهرة وهو يقدّم هدية لسماحة السيد، وكانت علبة مميزة ـ وهذا خلاف الاتفاق ـ فتسلمها منه سماحة السيد وقدّمها فوراً لأحد أبناء سلطان البهرة وكان يجلس على يمينه. فاستغربوا الأمر. فقال سماحة السيد: أنا استقبلت الهدية، ولكن أُحبُّ أن أهديها لأحد أولادك!!

وبذلك جمع سماحة السيد بين الأدب الرفيع ولباقات التعامل وبين الالتزام بمنهجه الصارم في التعاطي مع هذه الأمور.

أخبرت السيد محمد رضا بأن كل المسائل جاهزة. الجوازات، تذاكر السفر. لحدّ هذه الساعة لم يكن أحد يعلم بموعد السفر اليوم، سوى سماحة السيد والسيد محمد رضا والسيد جواد الشهرستاني. وقد اتّصل السيد محمد رضا قبل يوم بوكيل سماحة السيد في مدينة البصرة، سماحة السيد علي عبد الحكيم الصافي، وأخبره بشكل خاص جداً بنيتنا الرجوع إلى العراق عبر مدينة البصرة، وطلب منه الاستعداد للأمر ولم يحدد له موعداً. فأجابه السيد الصافي بأن الوضع في البصرة سيء أمنياً وهناك صدامات تحدُث بين وقت وآخر بين عناصر جيش المهدي والقوات البريطانية والحكومية، ولكن إذا كان سماحة السيد مصرّاً على الرجوع عن طريق البصرة فخططوا الإجراءات التي يلزم اتخاذها وسأنفذها.

ظهراً، تم إبلاغ الدكتور مجيد المصطفى، وعدد محدود جداً من المرافقين بموعد الرجوع.

وبدأنا بترتيب الحقائب استعداداً للسفر، وفي حدود الساعة الثانية ظهراً أبلغنا البريطانيين بنيتنا العودة اليوم، فاستغربوا جداً، وبدا عليهم الامتعاض، وعلّلوا ذلك بأن هناك إجراءات أمنية يجب أن تُتخذ، وكان يُفترض أن تخبرونا قبل هذا الموعد. وبالنتيجة تعاطوا مع الموضوع كأمر واقع.

عصراً كانت الوفود تتقاطر لزيارة سماحة السيد. لم يكن أحد يعرف أننا سنغادر الليلة، حتى الأصدقاء المقرّبون الذين كانوا بأجوائنا. رغم الأوضاع المتوترة كنا نتصرف بشكل طبيعي وهادئ.

في الساعة الرابعة عصراً أخبرنا السيد علي عبد الحكيم الصافي بأننا غداً صباحاً سنكون عند الحدود الكويتية العراقية.

في الساعة الرابعة والنصف أخبرنا الدكتور موفق الربيعي، بنيتنا العودة إلى العراق عن طريق البصرة، وبلّغناه أن يخبر الحكومة العراقية.

بعد الساعة الخامسة مساءً جاءتنا اتصالات عديدة من بغداد، تحذّر من العودة إلى العراق، لأن المسؤولين هناك عرفوا بالخبر.

في حدود الساعة السابعة مساءً اتصل بي مشعل الصراف مستشار وزير الدفاع العراقي وقال: عرفنا أن سماحة السيد يريد الرجوع إلى العراق فهل هذا صحيح؟ فأجبته بالإيجاب. قال: إن العودة بهذا الوقت وبهذه الطريقة تعرّض حياة سماحة السيد للخطر!

فأجبته: أعتقد أن أمر العودة محسوم، ولكنني سأبلغ الرسالة.

أخبرت السيد محمد رضا بفحوى الاتصال، فأجابني: بأن سماحة السيد مصمّم على العودة إلى النجف.

في الساعة الثامنة والنصف ليلاً تحركنا باتجاه مطار هيثرو، وقد جاء معنا لتوديعنا كل من السيد مرتضى الكشميري والسيد جواد الشهرستاني والسيد محمد علي الرباني واثنين آخرين من الاصدقاء.

في الطريق إلى المطار ـ وأنا في السيارة ـ اتصل بي على هاتفي الجوال، السيد حسين السيد هادي الصدر، وقال: وصلني خبر أن سماحة السيد يريد العودة إلى النجف، فهل هذا صحيح؟ قلت: نعم، سماحة السيد مصمم على العودة. قال: أرجو إخبار سماحة السيد ـ وهو رأي شخصي ـ أن عودته إلى النجف الآن فيها خطر على حياته!! وأقترح عدم عودته الآن.

قلت: سأخبره، ولكنني أعرف أن سماحته مصمم على العودة، ولا رجعة عن القرار.

وصلنا مطار هيثرو حدود الساعة التاسعة والنصف ليلاً، وجلسنا في إحدى قاعات الشرف، كان هناك أيضاً السيد عبد العزيز العدواني، القائم بالأعمال الكويتي.

وبينما نحن في المطار اتصل الشيخ محمود الفياض نجل سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اسحاق الفياض، وتكلم مع السيد محمد رضا، وأبدى هواجسه ومخاوفه من خطر محتمل على حياة

سماحة السيد، فأخبره السيد محمد رضا بأن سماحة السيد مصمّم على العودة.

التحذيرات التي كانت تصلنا، كنّا نأخذها على محمل الجد، وكنّا نعتقد بواقعيتها، ولكن سماحة السيد كان قد اتخذ قرار العودة ولا رجعة عنه.

الغريب أن موعد الطائرة كان الساعة العاشرة ليلاً، والمعروف عن الخطوط الجوية البريطانية دقتها في المواعيد، ولكن الإقلاع تأخر حتى الساعة الثانية عشرة ليلاً!! كما أن مطار هيثرو يغلق مدرجه الساعة الثانية عشرة ليلاً!! ساورتنا شكوك أن هذا التأخير مقصود، وقد يكون الهدف منه عرقلة رجوع سماحة السيد.

عبد العزيز العدواني القائم بالأعمال الكويتي في لندن، جدّد اقتراحه بتقديم طائرة أميريّة خاصة، وهي متوقفة حالياً في مطار قريب من مطار هيثرو، ويمكنه أن يجري اتصالاته فتحضر خلال فترة وجيزة جداً. ولكن سماحة السيد كرّر اعتذاره.

في حدود الساعة الثانية عشرة والنصف ليلاً، أبلغنا بأن طائرة الخطوط الجوية البريطانية جاهزة للاقلاع بعد قليل، فودّعنا من جاء لتوديعنا، وتوجهنا إلى الطائرة.

الفصل الثالث

العودة إلى العراق،
وحلّ أزمة النجف الأشرف

في مطار الكويت

في الساعة الواحدة وعشر دقائق من فجر يوم الأربعاء ٢٥/٨/ ٢٠٠٤، أقلعت طائرة الخطوط الجوية البريطانية من مطار هيثرو في لندن باتجاه الكويت. وكنا قد حجزنا فيها أربعة مقاعد في الدرجة الأولى ـ لعدم توفر مقاعد في الدرجة السياحية كما مرّ ـ وطبيعة توزيع المقاعد في الدرجة الأولى في الطائرات البريطانية تجعل كل مقعد ينفرد بشكل مستقل ويبعد عن المقاعد الأخرى بحدود نصف متر. جلس سماحة السيد في المقعد الأمامي وأحطنا به نحن الثلاثة تقريباً.

في أثناء الرحلة قدّم لي السيد محمد رضا ورقة صغيرة دوّن عليها مجموعة بنود كتبت بشكل غير منظم، وقال: هذه أفكار أولية لحلّ الأزمة، طالعها وأعطني رأيك فيها قبل أن أعرضها على سماحة السيد. وحسب تعبيره: «ما رأيك بهذه (الخربشات)».

قرأت الورقة بإمعان مرات عديدة، وفيها أهم البنود الخمسة التي أعلنت فيما بعد.

الحقيقة أن مضمون الورقة كان ناضجاً جداً على المستوى السياسي بحيث يمكن أن يشكل مخرجاً مقبولاً لكافة الأطراف، ـ وسأتحدث عن ذلك فيما بعد ـ وعندما حدّثتُ أحد كبار قيادات العمل الإسلامي في لبنان، عن هذه الخربشات، قال: أنتم تسمونها (خربشات)، ولكنها استطاعت أن تحقق انتصاراً وإنجازاً تاريخياً، عجزت كافة الأطراف عن تحقيقه.

أخبرت السيد محمد رضا، أن هذه الأفكار جيدة، ولا أعتقد أن أحداً من الفرقاء يُمكن أن يرفضها خصوصاً وأنها مشروع المرجعية للحل.

و كان قد تقرّر أن أُعلن من مطار الكويت عبر قناتي العربية والجزيرة، خبر قرب وصول سماحة السيد إلى العراق، وأطالب الجماهير المراقبة بالاستعداد لمرافقة سماحة السيد عند توجهه للنجف الأشرف. الاستعانة بالجماهير المؤمنة هي الوسيلة الوحيدة لوضع الجميع أمام مسؤولياتهم، ولإثبات جديّة المرجعية وتصميمها على إنهاء الأزمة. المرجعية لا تمتلك جيشاً ولا قوات منظّمة، ولكنها تعيش في قلوب الناس وضمائرهم ووجدانهم، وكان الرهان عليهم ـ على الناس ـ على حضورهم ونزولهم إلى الشارع، ونجح الرهان أيّما نجاح.

لم ينم سماحة السيد طيلة فترة الرحلة، وكان مشغولاً بالتفكير والتأمل والدعاء، ويراجعه السيد محمد رضا حول الأفكار المطروحة بين الحين والآخر.

هبطت الطائرة في مطار الكويت الساعة الثامنة وخمساً وعشرين دقيقة صباحاً. توجهنا إلى قاعة الشرف، وكان باستقبال سماحة السيد، وزير الديوان الأميري معالي الشيخ ناصر محمد الأحمد الجابر الصباح، ومحافظ «حولّي» الفريق المتقاعد عبد الحميد الحجي، وجلسنا حدود خمس وأربعين دقيقة، إلى حين تهيئة الحقائب، ونقلها إلى السيارة المعدّة لانتقالنا إلى الحدود الكويتية العراقية.

تنحيتُ جانباً في قاعة الشرف في مطار الكويت، واتصلت بقناتي الجزيرة والعربية، وطلبت منهم الخروج في نشراتهم الإخبارية حالاً للإدلاء بتصريح عاجل، فاستجابوا فوراً لأن الأزمة كانت في أوّجها، ولأننا عادة نبتعد عن وسائل الإعلام، فاتصالنا بهم كان غريباً.

مضمون التصريح الذي أدليت به للقناتين المذكورتين كان حسبما أتذكر: «إنّ سماحة السيد السيستاني دام ظله سيكون بعد ساعات قليلة على أرض الوطن، وهو عائد لإنقاذ مدينة النجف الأشرف من محنتها. بعد ساعات قليلة سيصل سماحة السيد إلى العراق الحبيب، ولذلك فإننا ندعو كافة العراقيين، ندعو أبناء المرجعية البررة للاستعداد الكامل للتوجه إلى النجف الأشرف بقيادة مرجعهم.

ليزحفوا من كلّ مكان، من بغداد والحلة وكربلاء، من البصرة والديوانية والعمارة والكوت، من كركوك والموصل وبعقوبة.

عذراً يا سيدي ومولاي يا أبا الحسن، يا أمير المؤمنين وسيد

الوصيين، لقد دُنِّست أعتاب مرقدك المقدّس، لقد هُتكت حرمتك، سنأتيك زحفاً ـ يا مولاي ـ ولو على أشلائنا، لنمسح الوجع عن محيّاك، ولتبقى قباب مرقدك الطاهر تعانق السماء شموخاً، وتضاهي الشمس نوراً، ولتبقى النجف الأشرف عاصمة العلم والنور والشمم، قبلة الحضارة وصانعة الأفذاذ».

سألني مقدم الأخبار: أين أنتم الآن، ومن أين تتحدث، هل من لبنان؟ فأجبته: لا أتحدث من لبنان، ولا أريد الإفصاح عن مكاننا ولكنني أؤكد أن سماحة السيد سيكون على أرض الوطن بعد ساعات قليلة.

الهاجس الأمني كان يضغط علينا في كل تحركنا، لهذا السبب لم نصرح بمكان وجودنا في الكويت، بل هو أحد الأسباب التي دفعتنا ـ كما سابقاً ـ للمرور بالكويت دون استقبال رسمي أو شعبي.

الشيخ ناصر محمد الأحمد الجابر الصباح طلب من سماحة السيد أن يستقل سيارة خاصة أُعدت في المطار، ضمن موكب من السيارات، لتوصله إلى الحدود الكويتية العراقية، لأن الأمن من مسؤوليتهم، رغم أنهم نفذوا ما طلبناه من إدخال سيارة تخصنا ـ كما أسلفت ـ إلى أرض المطار، فوافق سماحة السيد.

في الساعة التاسعة وخمس وعشرين دقيقة صباحاً غادرنا مطار الكويت، بمرافقة أمنية مشدّدة، باتجاه الحدود. في الطريق جاءتني اتصالات عديدة تستوضح عن جدّية مطالبة الجماهير العراقية بالزحف إلى مدينة النجف، فكنت أؤكد لهم الأمر.



وصلنا إلى نقطة معبر (العبدلي) في الساعة الحادية عشرة، وكان باستقبالنا هناك سماحة السيد علي عبد الحكيم الصافي وكيل سماحة السيد في مدينة البصرة، مع مجموعة من المؤمنين. استرحنا حدود الربع ساعة هناك، ثم انطلقنا باتجاه مدينة البصرة.

سماحة السيد السيستاني دام ظله في مدينة البصرة

دخل موكب سماحة السيد إلى مدينة البصرة في حدود الساعة الثانية عشرة ظهراً، وتوجهنا إلى منزل السيد الصافي.

في الطريق إلى المنزل بدت شوارع البصرة الفيحاء متعبة ومنهكة، هذه المدينة الصابرة التي شدّ عودها على المصائب والمحن. تتوشح بعبق التاريخ، مدينة النخيل السامق، الذي أخذت منه

الشموخ والكبرياء. هي مدينة الشهداء والمجاهدين... تراءت لي كسيرة الجناح، أليست هي التي تنام على بحر من النفط، فلماذا تنهمر دموع الفاقة والألم من عينيها!! وتتفجر المأساة من حاراتها وأزقتها.

رحم الله من قال:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما   والماء فوق ظهورها محمول

كان الله معكم يا أهلنا الطيبين في البصرة.

وصلنا إلى منزل السيد الصافي، وبدأت جماهير البصرة المؤمنة، بالتدفّق إلى المنزل، لأن الخبر بدأ بالانتشار، وأذاعت وسائل الإعلام المختلفة أن سماحة السيد دخل العراق عن طريق الكويت، وقد شُوهد موكبه يمرّ في شوارع مدينة البصرة. ضاق المنزل الكبير بالوافدين من وجوه اجتماعية وسياسية وشيوخ عشائر ورجال دين.

جُهّزت في هذا المنزل غرفة لاستقرار سماحة السيد. أما الغرف الأخرى فقد امتلأت بالناس. وقد ذهب الدكتور مجيد مع أحد الإخوان إلى منزل آخر لأنه كان بحاجة للراحة. بينما بقيت أنا والسيد محمد رضا مع سماحة السيد.

كانت الاتصالات تتوالى علينا، من وسائل الإعلام ومن الشخصيات السياسية تستفسر عن الموقف، واتصالات من المؤمنين ومن وكلاء سماحة السيد تسأل عن مسألة توجههم إلى النجف، وتوقيت ذلك. أتذكّر فيما أتذكّر اتصال السيد عمار الحكيم الذي

سألني عن جدّية موضوع إعلان الزحف إلى النجف، وهل هناك استعدادات أمنية لحماية سماحة السيد؟ هل فكرتم بالأمر؟ فأجبته: إعلان الزحف صحيح وجدّي ولا تراجع عنه، ولكن لا توجد استعدادات أمنية، جماهير المرجعية سوف تحمي سماحة السيد والله الحافظ. فقال: السيد الوالد ـ ويقصد السيد عبد العزيز الحكيم رحمة الله عليه ـ قلق، لا بد أن يرافق مئات الشباب سماحة السيد للحماية.

اتصل الدكتور قاسم داود ـ وزير الأمن الوطني آنذاك ـ من بغداد، وأخبرنا بأنه سوف يقصد البصرة، وسيصلها ليلاً، وسيأتي مع وفد حكومي فيه الوزير وائل عبد اللطيف إضافة إلى وفد المجلس الوطني المؤقت برئاسة السيد حسين السيد هادي الصدر، وطلب موعداً للقاء سماحة السيد. فرحبنا بهم.

بعد ثلاث ساعات من وصول سماحة السيد إلى منزل السيد الصافي، بلغت أعداد الجماهير التي تحيط بالمنزل الآلاف، وهي ترفض المغادرة، رغم الحرّ الشديد، والشمس اللاهبة، وكانت أصوات الجماهير تصل إلى مسامعنا، وهي تُكبّر وتهلل وتصلي على النبي وآله، وتحمد الله على قدوم سماحته سالماً غانماً. فكلّف سماحة السيد وكيله السيد الصافي بأن يخرج للجماهير ويبلّغهم سلامه وتحياته ودعاءه لهم بالخير والموفقية ويرجوهم الرجوع إلى منازلهم لأن الحرّ شديد، ويخبرهم بأنه سيتوجه غداً صباحاً في تمام الساعة السابعة إلى مدينة النجف الأشرف.



خرج السيد الصافي وخطب بالجماهير المجتمعة وأبلغهم ما كُلّف به، ولكن عواطف الناس الجياشة كانت أقوى من هذه الدعوات، فبقيت مرابطة حول المنزل حتى ساعات متأخرة من الليل.

بعد تكثّف الاتصالات التي جاءتنا مستفسرة عن البرنامج في اليوم التالي وآلية العمل، قررنا مخاطبة الجماهير عبر وسائل الإعلام، فأدليت بعدة تصريحات قلت فيها:

(إن سماحة السيد سيتوجه غداً الساعة السابعة صباحاً إلى مدينة النجف الأشرف، ونعلن للمؤمنين أنه من أحب أن يلتحق بموكب سماحة السيد فليلتحق) وأكّدتُ: (أن هذه ليست فتوى شرعية بالمشاركة في المسيرة، وإنما: من أحب أن يلتحق بسماحته فليلتحق).

مساءً، كنت في برنامج تلفزيوني على قناة العربية. بعد أن أدليت بكلامي عن خروجنا صباحاً باتجاه النجف لإنقاذها من محنتها، وأننا سنطرح مبادرة الحل من على أبواب النجف. فاجأتني

«مقدمة البرنامج» بسؤال غريب: لماذا لم تتوجهوا مباشرة اليوم إلى النجف، هناك من يقول إنكم انتظرتم حتى يتم حسم المسألة عسكرياً هذه الليلة؟! وفي الحقيقة إن هذا النوع من الأسئلة الذي يحمل في مطاويه فكراً اتهامياً، هو بعيد كل البعد عن الموضوعية. أجبتها بلا تردد: إن سماحة السيد شيخ كبير يبلغ من العمر حوالي خمس وسبعين سنة، خارج لتوّه من عملية في القلب، وقد ترك فترة النقاهة وهي ضرورية له، ولم ينم منذ أربع وعشرين ساعة، قضى أكثرها متنقلاً جواً وبراً، فهو بحاجة ماسة إلى الراحة، خصوصاً أن الرحلة من البصرة إلى النجف هي رحلة مضنية تستغرق ثماني ساعات تقريباً في أحسن الظروف. فأنتم تتناسون كل هذه المعطيات، وتقفزون عنها إلى اتهامات افتراضية غير منطقية!!

وفد الحكومة العراقية يلتقي سماحة السيد في البصرة

في حدود الساعة التاسعة ليلاً جاء الوفد الحكومي ووفد المؤتمر الوطني المؤقت وكان يضم الدكتور قاسم داود والدكتور وائل عبد اللطيف والسيد حسين الصدر، وجلسوا مع سماحة السيد، وبعد الاطمئنان عن صحته، بدأ الحوار حول الأزمة الدائرة في النجف، فأوضح الدكتور قاسم داود حيثيات المشكلة والجهود التي باءت بالفشل، وأن السيد مقتدى ألجأهم لاستخدام القوة العسكرية لحسم الأزمة، وكان الدكتور وائل عبد اللطيف والسيد حسين الصدر يشاركان بالحديث بين الفينة والأخرى. ثم طلب الدكتور قاسم داود من سماحة السيد موضوعين:

الموضوع الأول: أن يبقى في مدينة البصرة يومين إضافيين، وسوف تنهي الحكومة الأزمة في النجف.

والموضوع الثاني: إلغاء الزحف الذي أُعلن إلى مدينة النجف، لأن هذا الأمر، ولّد اضطراباً كبيراً، ومعلوماتنا تقول إنّ الجماهير بدأت منذ الآن بالتوجه إلى النجف، وقد تدخل بينهم جماعات لها أهداف معينة تستهدف تصعيد الأجواء، وحينئذ سنعود إلى نقطة الصفر.

قال سماحة السيد: أنا متوجه غداً إلى النجف وفق البرنامج المعلن، ولديّ مبادرة للحل، سوف تُعلن عند وصولنا إلى النجف. وأشار إلى ولده السيد محمد رضا ليشرح لهم بنود المبادرة.

شرح السيد محمد رضا لهم حيثيات الأزمة من وجهة نظر المرجعية، والاتصالات التي كنا نجريها من لندن لاحتواء المشكلة، وأوضح لهم خصوصية النجف التاريخية والدينية، والمرجعية مصمّمة على الذهاب إلى النجف مهما كلّف الأمر لوضع حدّ لما يجري، وأطلعهم على البنود الخمسة للمبادرة.

علّق الدكتور قاسم بأن هذه المبادرة فيها إيجابيات كثيرة ولكنها بحاجة إلى إعادة ترتيب في أولوياتها، ونحن لا نثق بالفريق الآخر، ونعتقد أنه لن يلتزم بهذا الاتفاق، وأن المبادرة لن تنجح، ونخشى أن تذهب كل الجهود السابقة سدى، ونعود إلى ما كنا عليه قبل شهر.

سأله سماحة السيد السيستاني دام ظله: ما هي نسبة نجاح هذه المبادرة حسب رأيك؟

أجاب الدكتور قاسم: أعتقد أن نسبة النجاح لا تزيد عن خمسة بالمائة!!

فقال سماحة السيد: إذن، أنا أريد أن أعمل على هذه الخمسة بالمائة. ما دام هناك احتمال ولو بنسبة خمسة بالمائة أن ننجح بإنقاذ مدينة النجف، وحلّ الأزمة سلمياً، فواجبي أن أعمل على تحقيق هذا الاحتمال.

أمام إصرار المرجعية المدعوم بالمنطق السليم، بدأت كفة المفاوضات تميل إلى إعطاء فرصة للحل السلمي والمبادرة المرتقبة، وأعاد الدكتور قاسم قراءة البنود الخمسة بتأمل أكبر، وناقش في ترتيبها، فجاريناه في البعض وعارضناه في البعض الآخر. وتم الاتفاق على أن تُعلن الحكومة العراقية وقفاً لإطلاق النار في مدينة النجف الأشرف فور وصول سماحة السيد إليها، أو من الساعة الثالثة من ظهر يوم غد، ولمدة أربع وعشرين ساعة، احتراماً لقدوم سماحته، وإفساحاً للمجال لمبادرة الحل التي ستعلنها المرجعية.

خرجتُ للقاء الصحافة المتواجدة أمام منزل السيد الصافي، لأننا كنا تُوقّفنا عن الإدلاء بأي تصريح بانتظار مجيء الوفد الحكومي، وأبلغتهم بنتائج المفاوضات، وأعلنتُ مبادرة المرجعية التي ستعمل على تحقيقها لإنهاء الأزمة، وقرأت على مسامعهم البنود الخمسة، وأكدت أن موعد الانطلاق كما كان في الساعة السابعة من صباح غد، ووجهت نداءً للجماهير المؤمنة بأن الالتحاق بموكب سماحة السيد ليس إلزامياً، وإنما يعود لرغبة الناس في مرافقتهم

لسماحته، ورجوتهم أن ينتظروا على أبواب النجف ولا يدخلوها، ولينتظروا تعليمات مكتب سماحة السيد وتوجيهاته.

حتى ساعة متأخرة من تلك الليلة، كان منزل السيد الصافي كخلية نحل لا تهدأ. المنزل كان يعج بالزائرين، والاتصالات مستمرة، والصحافة متجمعة أمام الدار، التي تحوطها من كل صوب الجماهير المؤمنة من أهالي المحافظات المجاورة الذين تقاطروا إلى البصرة بعد الظهر.

في ساعة متأخرة جداً آوينا لنرتاح من جهد يومٍ مضنٍ. كانت الغرفة المخصصة لسماحة السيد المكان الوحيد الذي نستطيع أن ننام فيه، وبالفعل جمعتني هذه الغرفة مع السيد محمد رضا إلى جانب سماحة السيد، ونمنا معاً فيها حتى الصباح.

قبل النوم، وحين كان السيد محمد رضا منشغلاً خارج الغرفة، استدعاني سماحة السيد لأجلس إلى جانبه، وسألني: نحن صمّمنا على الذهاب غداً، وسنحاول بكل ما نستطيع إنهاء الأزمة. ولكن إذا لم نوفّق، ما العمل؟ ما هو البديل؟ فأجبته: يا سيدنا، كل ما فعلتَه حتى الآن ـ من رجوعك إلى العراق في هذا الوضع وبهذه الصيغة ـ هو خارج السياق التقليدي والمتعارف، ودَفَعَكَ إلى ذلك تكليفك الشرعي ومسؤوليتك التاريخية، وكما تفضلتم سوف نضغط بكافة الاتجاهات من أجل إنهاء الأزمة سلمياً، ولكن حقيقة ليس في ذهني حتى هذه اللحظة تصور معين في حال فشلت هذه الجهود، ويفترض أن نتعامل مع كل حالة وفق مقتضياتها، وأنا على يقين أن الله سوف ينصرك.

كنت أستشعر وبعمق حجم المسؤولية التاريخية التي يحملها سماحة السيد، وحجم الألم الذي يعيشه. فأبناؤه يقتلون في أشرف مكان، وأقدس بقعة في العراق من دون مبرر منطقي، والحوزة التي ورث زعامتها ينبعثُ من بين غرف مدارسها، ومآذن جوامعها، وحلقات درسها، دخان الفتنة. والكل يَشْخُصُ إليه ويراهن عليه، هذا الذي ملأ الدنيا وشغل الناس، لا يملكُ في هذه الدنيا الفانية شبراً من الأرض، ولكنه يسكنُ قلوب الملايين. بين عباءته العتيقة، وعمامته السوداء، وعصاً يتوكأُ عليها، يدور التاريخ ويركع.

الانطلاق من البصرة إلى النجف

في صباح يوم الخميس ٢٦/٨/٢٠٠٤، اجتمع آلاف الناس حول منزل السيد الصافي بانتظار انطلاق موكب سماحة السيد. اقترح بعض الأخوة أن يغادر سماحة السيد البصرة قبل ساعات من انطلاق الموكب والمسيرة، لغرض التمويه، ولكن السيد محمد رضا قال: إن سماحة السيد يرفض ذلك، نحن لم نعوّد الناس أن نتعامل معهم إلا بصدق، ويجب أن نكون في المسيرة. فتم تبديل الاقتراح بأن ينطلق السيد الصافي بموكب سيارات، فتتبعه الناس، ثم تنطلق سيارة سماحة السيد بعد أن يتحرك الموكب، وبذلك نكون جمعنا بين التمويه اللازم للضرورة الأمنية وبين الرغبة في أن نكون مع الناس في المسيرة. فتمت الموافقة على ذلك.

الأخ أبو أحمد الراشد محافظ البصرة آنذاك كان قد أعدّ مجموعة من السيارات، بشكل واحد، مضلّلة بالزجاج الأسود، ليستفيد منها موكب سماحة السيد. انطلق السيد الصافي بمجموعة من هذه

السيارات في حدود الساعة السابعة والنصف صباحاً، وتبعه الناس ظنًا منهم أن سماحة السيد معه داخل السيارة. وتحركت المسيرة، وبدأت بمئات السيارات من البصرة.

بعد نصف ساعة انطلقت سيارة سماحة السيد، وكان يقودها الأخ أبو أحمد الراشد نفسه. وجلست في المقعد الأمامي وجلس سماحة السيد في المقعد الخلفي، وإلى جانبه السيد محمد رضا. وفي مؤخرة السيارة جلس شخصان من الحماية. وأمام وخلف هذه السيارة، كانت هناك سيارات مشابهة من الحماية، وفّرتها محافظة البصرة.

انضمّ موكب سماحة السيد إلى المسيرة، وأصبحنا في وسط مئات السيارات، من دون أن يعرف أحد أن سماحة السيد في إحدى هذه السيارات، إذ كان الجميع يظن أن سماحته في الموكب الأمامي.

وهنا أشير إلى أننا كنا نتوقع خرقاً أمنياً في كل لحظة، لأن خط المسيرة معلوم منذ يوم أمس، وكذلك توقيتها، فتفجير السيارات وارد، والهجوم المباشر وارد، وأعداء المرجعية كُثر، لاسيما أن حركتها الأخيرة استفزت جهات عديدة.

شخصياً ـ قبل الانطلاق ـ اغتسلتُ غسل الشهادة، وتوكّلتُ على الله. كل الاحتمالات كانت واردة. وما دمنا قد اخترنا الطريق البري للوصول إلى النجف فهذا يعني أن خيارنا محفوف بالمخاطر.

كان الموكب رائعاً، السيارات المتجهة بأحجامها المختلفة كانت معبأة بالناس، الشعارات (والهوسات) والأهازيج الشعبية كانت تملأ

الفضاء. الجماهير خرجت براياتها الحسينية الملونة زرافات ووحدانا. كلما مررنا بمنطقة كان أهلها واقفين باستقبال موكب سماحة السيد وينثرون عليه (الجكليت والملبس)[١]، ثم يلتحقون بالموكب.

في بعض المناطق كانت المشاعر الملتهبة للجماهير المؤمنة، تلهب أحاسيسنا ونحن في داخل السيارة، وأطلقت لدموعنا العنان.

المشاهد غير قابلة للوصف. أتذكر مثلاً في محافظة السماوة، كان الناس يرمون بأنفسهم على موكب السيارات للتبرك به، من دون أن يعرفوا السيارة التي يستقلّها سماحته. اعتقدَ الناس أن السيارة التي أمامنا هي التي فيها سماحة السيد، فتساقطوا عليها من أعلاها ومن أطرافها فتوقفت عن السير، وتوقفت سيارتنا أيضاً.



(١) نوع من الحلوى المراقية.

كان البعضُ يلطمُ على صدره، والبعض الآخر يصرخ باكياً، دموع الفرح كانت صادقة وكأنها تخرج من عين القلب. كانت الهتافات تشق أعنان السماء: «كل الشعب ويّاك يا سيد علي» و«تاج تاج على الراس سيد علي السيستاني». وفي السماوة كانت الجماهير تصرخ «كل السماوة وياك يا سيد علي».

كان الموكب يشقّ طريقه بصعوبة بالغة في كل المدن التي مررنا بها، وكان من المفترض أن يستريح سماحة السيد في محافظة الناصرية، ولكن عدلنا عن الفكرة لصعوبة تنفيذها، ولأن وقت وصولنا إلى النجف سيتأخر.

من المفارقات التي حصلت في هذه الرحلة، أن سيارتنا أُصيبت بعطل طارئ في أثناء الطريق وتوقفت، وتحديداً في منطقة تبعد عن مدينة البصرة مائة وتسعة وثلاثين كيلومتراً، اسمها: «مفرق حقول ضبة» وهو تقاطع طرق، يميناً يذهب إلى الناصرية، والطرف الآخر يأخذك إلى البطحاء. ولتدارك المشكلة، أجرى شباب الحماية اتصالاتهم فوراً، وركنت سيارة مشابهة إلى جانب سيارتنا، حيث ترجلنا منها، وأنزلنا سماحة السيد ونقلناه إلى السيارة الأخرى. هذا المشهد تمّ وسط عشرات السيارت. ولوهلة شاهد الناس القريبين من سياراتنا سماحة السيد فعلت أصواتهم بالصلوات والتكبير.

في أثناء الطريق اتصلت بي الصحافة، فوجهت عدة نداءات للجماهير المراقبة التي بدأت بالانطلاق إلى النجف من كل حدب وصوب، وأكدّتُ عليهم بأن يبقوا على أبواب النجف لاستقبال موكب سماحة السيد، وأن لا يدخلوها بانتظار تعليمات لاحقة.

اتّخذنا قراراً بعدم المرور بالديوانية، لضيق الوقت، وللتمويه

الأمني، وأخذنا طريق (غمّاس)، وعند وصولنا إلى مفترق طرق يربط الديوانية بغماس، فوجئنا بعشرات الآلاف من أهالي الديوانية على الطريق الخارجي لاستقبال الموكب بعد أن عرفوا بتغيير طريق سماحة السيد.



كانت دموعي تنهمر بصمت في أثناء الرحلة، متأثراً بالمشاهد[1]. عرفت فيما بعد حسب ما أخبرني سماحة السيد، أنه كان يبكي أيضاً تأثراً بمشاعر الناس وعواطفهم الصادقة.

---

(١) من المشاهد التي لا تزال عالقة في ذهني ـ أذكرها شهادة للتاريخ ـ صورة الشهيد الصديق الشيخ أكرم الزبيدي الذي قَدِمَ من كربلاء إلى البصرة ليرافق موكب سماحة السيد إلى النجف، صورته وهو يترجل ـ بين الفينة والأخرى ـ من سيارته راكضاً حافي القدمين خلف سيارة سماحة السيد لحمايتها في المناطق المزدحمة. وليس غريباً أن يختاره الله ـ فيما بعد ـ شهيداً وهو صوت الغيرة والصدق والنزاهة، الذي لم يتحمله الفاسدون في مدينة كربلاء، فاغتالوه ظلماً وعدواناً.

شباب الحماية في مؤخرة السيارة بين الفترة والأخرى كانوا يريدون أن يضعوا قطعة قماش على النافذة السوداء التي يجلس بقربها سماحة السيد، خشية منهم أن يتمّ التعرّف عليه وحينئذ نواجه مشكلة حقيقية في التحرك. كنت أطلب منهم أن يرفعوا هذه القماشة، أحببت أن يشاهد سماحة السيد طيبة ووفاء شعبه وجماهيره. هؤلاء أبناؤه وإخوانه. هؤلاء الفقراء الذين أحبهم ولا يزال. يحمل همّهم ويتألم لآلامهم، ويعيش عيشتهم، زهداً ومواساة. كنتُ حريصاً أن يرى بعينيه هذا الشعب الرائع وتعاطفه مع المرجعية، وتعلُّقه بها رغم كيد الحاسدين، ومكر الماكرين، وافتراء المنافقين.

هؤلاء الناس الأبرار، أبناء المرجعية، يفكرون ويتصرفون بصفاء قلوبهم، بعيداً عن دهاليز السياسة السوداء، وأروقتها النتنة، فهنيئاً لهم، وتباً لأصحاب الدنيا، ولأقلام المرتزقة، التي ما فتئت تنفث سماً زعافاً، لا يقتل إلا أصحابه.

أين هم عن هذه المشاعر الصادقة؟! أين تأثير أقاويلهم الباطلة على هذه العواطف الجيّاشة؟! شعرت أنهم في وادٍ، وهؤلاء الطيبون في واد. هؤلاء يجمعهم بالمرجعية: الصدق، والدين، والهموم المشتركة. ويبعدهم عن أولئك: زيفهم، وكذبهم، ومصالحهم الدنيوية.

عرفنا ونحن بالطريق، أن عشرات الآلاف من جماهير محافظة كربلاء ومحيطها قد تجمعت في منطقة خان النص التي تبعد عن مدينة النجف حدود خمسة وثلاثين كلم، وهم بانتظار أوامر المرجعية.

كما عرفنا أن قذائف مدفعية مجهولة المصدر سقطت على مسجد الكوفة وخلّفت عدداً من الجرحى والقتلى، ممّا دفع الأجواء المتفائلة باتجاه التوتر الشديد.

المفاجأة الكبرى كانت في مدينة (أبو صخير)، وهي أقرب منطقة إلى النجف، حيث تجمّع مئات الآلاف من الناس، وأعداد هائلة من السيارات لاستقبال سماحة السيد، كان المشهد مؤثراً. الحافلات والشاحنات الكبيرة والصغيرة والسيارات الخاصة كانت مليئة بالناس، المشاة كانوا يملأون الطريق من أقصاه إلى أقصاه. هذه المنطقة هي المدخل الجنوبي لمدينة النجف، أبناء المحافظات الجنوبية الذين التحقوا بموكب سماحة السيد تجمعوا هنا، وأهازيجهم الشعبية كانت تنطق عما يسري في عروقهم من نخوة وشهامة.

وكالات الأنباء العالمية قدّرت الجموع المحيطة بالنجف بحوالي ثلاثة ملايين نسمة!! وللأسف فإن تعتيماً إعلامياً مقصوداً رافق هذه الرحلة من البصرة إلى النجف!!

سماحة السيد يصل إلى مدينة النجف الأشرف

في الساعة الثالثة عصراً وصلنا إلى مشارف مدينة النجف الأشرف، وكلّما اقتربنا من المدينة، كانت الأمواج البشرية تزداد، والهياج الجماهيري يبلغ مداه. ما أصفه هو مشاهداتي في المدخل الجنوبي للمدينة. وعرفت أيضاً أن النجف محاطة بالسيل البشري من كافة جهاتها، من جهة الكوفة، ومن جهة كربلاء.

عند المدخل الجنوبي كانت الشرطة العراقية وقائدها في مدينة

النجف قد قطعوا الطريق عند مداخل المدينة بعوائق حديدية، وبعشرات من سيارات الشرطة. عندما اقتربنا من الحاجز الأولي، وتأكدوا من موكب سماحة السيد فتحوا له الطريق ثم أقفلوه ثانية، ورافقونا إلى داخل المدينة.

كنا قد اتفقنا أن ننزل في منزل الشيخ محمد حسن الأنصاري الكائن في حي السعد، ونبدأ من هناك اتصالاتنا. وبالفعل توجهنا إليه مباشرة، وما إن وصلنا حتى غصّ المنزل بالوافدين، فالجميع كان ينتظر قدوم سماحة السيد، رغم أجواء التوتر التي كانت تسود المدينة.

عندما وصلنا إلى المنزل، عرفنا أن مواجهات عنيفة حصلت بين الجماهير المتدفقة إلى النجف من جهة (أبو صخير) وبين الشرطة، وتطورت إلى إطلاق نار، والأجواء متشنجة جداً. الشرطة اتصلت بنا لتوجيه نداءات إلى الجماهير بالهدوء والاستكانة، لأنها لا تستطيع إعطاءهم الإذن بالدخول إلى المدينة في هذا الظرف الحساس. ذهب مجموعة من الأخوة على رأسهم السيد محمد رضا الغريفي من أجل الفصل بين الشرطة والناس، وتوجيه نداءات عبر مكبّرات الصوت تدعو الناس إلى التريّث والهدوء حتّى إتمام المفاوضات وإعلامهم بما يستجد. عاد الوفد بعد نصف ساعة ليقول: إن الأمور خرجت عن السيطرة، هناك إطلاق نار غزير، الجماهير هائجة، والشرطة بدأت بإطلاق النار، ولا أحد يستمع لكلامنا. عرفنا فيما بعد أن الشرطة كانت قاسية جداً مع الجماهير، وأن عدداً كبيراً من الشهداء سقط في هذه المواجهات التي لم نجد لها مبرراً منطقياً. لا أعرف بأيّ حق توجه الشرطة نيرانها إلى صدور الناس؟

ومن أجاز لهم هذا الفعل؟ ولماذا هذه الاستهانة بحياة الناس وكراماتهم؟

وقد أصدر مكتب سماحة السيد بياناً يدين فيه هذه التجاوزات ويتعاطف مع أهالي الضحايا والمصابين.

ونص البيان: «

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

يشكر سماحة السيد السيستاني دام ظله جموع المؤمنين الكرام الذين تجشّموا عناء السفر إلى مدينة النجف الأشرف متزامناً مع عودة سماحته إليها من رحلته العلاجية في الخارج، مثمّناً ما بذلوه من جهد بالغ في سبيل إنقاذ المدينة المقدسة وحفظ حرماتها.

كما يبدي سماحته عميق حزنه وبالغ أسفه على تعرّض جمع من الوافدين للإطلاقات النارية مما أدّى إلى سقوط عدد من الأبرياء بين قتيل وجريح، مطالباً الجهات المختصة بإجراء التحقيقات اللازمة لتحديد المقصّرين ومحاسبتهم.

نسأل الله العلي القدير أن يمنّ على جميع ربوع العراق العزيز بالأمن والاستقرار ويجنّب العراقيين كل سوء ومكروه إنه سميع مجيب.

١٠/رجب/١٤٢٥هـ

مكتب السيد السيستاني (مد ظله)

النجف الأشرف

(انظر الوثيقة رقم ١٩)

وقد طالب سماحة السيد فيما بعد بفتح تحقيق حول هذه الاعتداءات الظالمة، وكُلِّفتُ شخصياً بنقل هذا الطلب إلى رئيس الوزراء العراقي ـ آنذاك ـ الدكتور أياد علاوي عندما التقيته بعد انتهاء الأزمة بأسبوع تقريباً. وقد حصلت مؤخراً على وثيقة موجهة من وزارة الداخلية إلى قائد شرطة النجف، تشير إلى هذا اللقاء، وإلى طلبين من المرجعية، أحدهما هو فتح التحقيق المذكور.

ونص الوثيقة هو:

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ

سري وشخصي

وزارة الداخلية

مكتب وكيل الوزارة لشؤون الشرطة

(النجف ـ كربلاء)

العدد/ ١٠٨٣٢

التاريخ ٢٠٠٤/٩/٢٣

«إلى قائد شرطة النجف شخصياً:

الموضوع/عقد اجتماع

عقد اجتماع بين دولة رئيس الوزراء والسيد حامد الخفاف ممثل آية الله السيد علي السيستاني في لبنان، وتمت مناقشة ما يلي:

١ ـ التحقيق في موضوع التظاهرات وإساءة الشرطة للمتظاهرين. من خلال تشكيل لجنة تحقيق ويبدو أن هناك عدم رضا عن قائد شرطة النجف.

٢ ـ تخفيف حالات الاستفزاز من قبل الشرطة والإدارة المدنية للسيد مقتدى.

اتخاذ ما يقتضي بخصوص الفقرتين أعلاه وإعلامنا إجراءاتكم بالسرعة على أن تردنا الإجابة خلال ٧٢ ساعة... رجاءً.

اللواء الوكيل المساعد
٢٠٠٤/٩/٢٣»

(انظر الوثيقة رقم ٢٠)

سماحة السيد يستقبل السيد مقتدى الصدر، ومفاوضات حلّ الأزمة

عندما قرّر سماحة السيد إطلاق مبادرة الحل، كان تركيزنا على السعي لتأمين لقاء بين سماحته والسيد مقتدى، والحديث معه مباشرة ـ لا مع مساعديه ـ حول حل الأزمة الدائرة. وبدأنا باتصالات حثيثة فور وصولنا إلى العراق، من البصرة، وفي الطريق منها إلى النجف، بأطراف عديدة داخل النجف وخارجها، من أجل أن يوصلوا خبراً للسيد مقتدى برغبة سماحة السيد بلقائه، وضرورة ذلك.

عصراً جاء بعض القريبين من السيد مقتدى إلى محل إقامة سماحة السيد، وعرف بالأمر فأبدى استعداده للعمل على تحقق ذلك. اتصلت بالدكتور قاسم داود وطلبت منه: تأمين دخول سيارة إلى المدينة القديمة، لتأتي بالسيد مقتدى الصدر إلينا، ونريد ضمانات من الدولة بعدم المساس به، وعدم ملاحقته عند الخروج، وأن يرجع

إلى مأمنه معزّزاً مكرّماً. أجابني: «سوف نؤمّن ذلك، وانتظر مني جواباً خلال ساعة، عن الطريقة التي ستتم بها المسألة، وسأتحدث مع رئيس الوزراء، ومن ثم محافظ النجف».

في حدود الساعة السادسة والنصف فوجئنا بدخول السيد مقتدى الصدر إلى المنزل ومعه أحد حرّاسه. المفاجأة أن السيد مقتدى الصدر جاء قبل أن نرتب موضوع ضمانات وصوله إلينا وعودته إلى مكانه في ذلك الوضع المتوتر!! جلس السيد مقتدى في الاستقبال ريثما يصبح سماحة السيد جاهزاً لاستقباله، ولم تبدُ عليه آثار التعب، بل بدا مرتاحاً وهادئاً.

بعد دقائق دخل السيد مقتدى الصدر على سماحة السيد، واختلوا لمدة عشر دقائق تقريباً. علمت أن سماحة السيد عامله بلطف ومحبة وأكّد على ضرورة وضع حدّ لمأساة النجف، وأن هذا الوضع غير قابل للاستمرار، فأبدى السيد مقتدى موافقته المبدئية على الحلّ السلمي القائم على خروج عناصر جيش المهدي من النجف وتسليم الحرم الشريف للمرجعية ولكنه تحفّظ على مقترح خروج عناصر جيش المهدي مجردين من السلاح من خلال ممر آمن بين المدينة القديمة وأحد منافذ النجف الأشرف وقال: إن هذا إذلال لهم بالإضافة إلى أنه يؤدّي إلى تعرّف قوات الجيش والشرطة على هؤلاء العناصر، فتتمّ ملاحقتهم واعتقالهم لاحقاً.

واقترح بدلاً عن ذلك أن يسمح للزوار المجتمعين في أطراف المدينة الذين استجابوا لنداء المرجعية وتوجهوا إلى النجف

لإنقاذها... أن يُسمح لهم بالدخول إلى المدينة القديمة فيختلط معهم عناصر جيش المهدي ويخرج الجميع فيما بعد.

ولم يرفض سماحة السيد هذا الاقتراح مبدئياً.

وفي أثناء اجتماع سماحة السيد بالسيد مقتدى دخل السيد محمد رضا عليهما، وعَلِمْتُ أنه سأله عما أشيع عن موافقته على مطالب المؤتمر الوطني فقال: إن هذا كذب، وإنما وافقت على التفاوض بشأنها، وأنا أرفض حلّ جيش المهدي رفضاً باتاً. ثم خرج السيد محمد رضا وقال لي: ادخل يا حاج حامد. فدخلت.

قال لي السيد محمد رضا بحضور سماحة السيد والسيد مقتدى: السيد مقتدى يريد أن يدخل الناس إلى الصحن، ويخرج معهم المقاتلون المتواجدون فيه والمعتصمون فيما بعد، فما رأيك؟

قلت: أولاً، هل وافق السيد مقتدى على بنود المبادرة، حتى نناقش بالتفاصيل.

قال السيد محمد رضا: ذُكر له مضمونها ولكن أَخرِج الورقة واقرأها عليه.

فأخرجت الورقة من جيبي، وهي مسوّدة الاتفاق الذي أعدّ بصورة أولية في الطائرة، ورُتّب في البصرة، وأردت أن أقرأها، فقال السيد مقتدى: الظاهر أنكم منهين[1] الموضوع، ولا نقاش فيه.

فقلت له: لا، الموضوع ليس هكذا، هذه أفكار أولية، الورقة

---

(١) أي: أنهيتم الموضوع.

مسوّدة، (شوفها) ـ وأريته إيّاها ـ وبإمكانك مناقشة أي بند لا تراه مناسباً.

قال: أنا بالخدمة كل ما يأمر بيه السيد أنفذ.

فتلوت عليه نص الاتفاق.

فقال: ليش ما تقدّمون بند إخراج القوات الأميركية مو[1] هذا أحسن.

قلت: هذه مسائل شكلية، المهم أنها ستخرج من المدينة وفق الاتفاق. والأهم هو هل لديك إشكال على الأفكار في هذا الاتفاق؟

قال: لا أنا موافق، بس أريد أن أحفظ كرامة الموجودين بالصحن، لو تجيز الحكومة للجماهير الموجودة على أبواب النجف بالدخول إلى الصحن، ثم يخرج مقاتلو جيش المهدي معهم خارج المدينة، خو مقاتلين جيش المهدي ما مكتوب على كصتهم[2] أنهم مقاتلين جيش المهدي، صعبة علينا يطلعون رافعين أيديهم.

ثم خاطب سماحة السيد قائلاً: هذوله أولادكم إنتو هم متقبلون أن ينذلوا.

فعقّب على كلامه سماحة السيد: نعم لا أقبل ذلك.

ثم أمر سماحته بإجراء الاتصال بالجهات الحكومية لبحث الموضوع معهم.

---

(١) أي: أليس.

(٢) أي: جباههم.

فقال لي السيد محمد رضا: اصعد يا حاج حامد، واتصل بالدكتور قاسم داود وشوف الجماعة ما هو رأيهم.

صعدت إلى سطح المنزل، لأننا كنا نجري الاتصالات عبر هاتف الثريا، وهذا الجهاز لا يمكن التحدث به تحت السقف، فكنا نضطر للصعود إلى السطح للتحدث هاتفياً، علماً أنه كان الوسيلة الوحيدة آنذاك للتواصل مع الأطراف.

اتصلت بالدكتور قاسم داود، فبدأني بالحديث قائلاً: حاولت الاتصال بك خلال الساعة الماضية فلم أفلح. ما يتعلق بالموافقة على ضمانة مجيء السيد مقتدى الصدر إلى السيد السيستاني، وافق عليها رئيس الوزراء، وأبرق إلى (كيسي)[1]، ولكن محافظ النجف يقول: عملياً نحن لا يمكن أن نضمن هذا الأمر، لأن وتيرة التأزم بين الشرطة وجيش المهدي مرتفعة، ولا يسعنا ضمان المسألة!!

قلت: ما هذا الكلام يا دكتور قاسم؟ كيف أن المسؤول الأعلى يُصدر أمراً، والمسؤول الأدنى منه يعارضه؟!

قال: أعطني ساعة زمان، وسوف أضغط عليهم لنرى.

ولم أخبره بأن السيد مقتدى الصدر موجود عندنا في المنزل.

قلت: سبب اتصالي هو أنه: ما رأيكم بدخول الناس القادمين إلى النجف والمحيطين بها، إلى الصحن الشريف، حتى يخرج معهم غداً مقاتلو جيش المهدي، لأن الهدف هو أن يخرجوا من دون إذلال أو إهانة لكرامتهم.

---

(١) قائد القوات الأميركية.

قال: ومن يضمن خروجهم إذا دخلت مجاميع كبيرة، واستقووا داخل الصحن، وأدخلوا تجهيزات وعتاد؟

قلت: السيد مقتدى الصدر يتعهّد بخروجهم.

قال: سوف أخبر رئيس الوزراء، لكن أعتقد أنه سيرفض.

قلت: أخبره، وإذا كان رأيه سلبياً، أخبرنا حتى نتصل به مباشرة.

قال: أريد وقتاً بحدود الساعة.

قلت: حاول الاستعجال.

نزلت عن السطح، ودخلت على سماحة السيد والسيد مقتدى والسيد محمد رضا، وأخبرتهم بنتيجة الاتصال. وكان علينا أن ننتظر وقتاً أطول لنحصل على الجواب.

فقال السيد مقتدى الصدر: نحن لن نزاحم السيد أكثر من ذلك، ويجب أن نتركه يرتاح.

فأخذناه إلى غرفة مجاورة لغرفة سماحة السيد، وجلسنا فيها، وكان قد دخل وقت صلاة المغرب والعشاء، فصلّى السيد مقتدى، وتركنا السيد محمد رضا وحدنا في الغرفة. فجلست مع السيد مقتدى حدود الساعة تقريباً.

سألت السيد مقتدى الصدر عن أمور عديدة، وتحدثنا بمسائل متفرقة.

أتذكر أنني سألته عن السبب الذي يجعل هؤلاء الشباب يقاتلون في النجف وبهذه الطريقة، وما فائدة ما يجري؟ وهل هناك هدف

معين؟ خصوصاً وأنك قائد لتيار كبير في الساحة، ويمكن أن تنتظروا الانتخابات لتشاركوا فيها، وتتمثلوا بحجم كبير، وتأخذوا بزمام المبادرة.

أجابني: وهل تُصدّق أنهم سيجرون الانتخابات، وأنهم سيسمحون لنا بالفوز؟

قلت: أعتقد أنهم سيماطلون ويسوفون، ولكن بالنتيجة، الحق لا يُعطى بل يؤخذ، نحن يجب أن نناضل ونتظاهر ونضغط من أجل إجراء الانتخابات.

قال: أنا ما حصلت عليه بالقتال لم أحصل عليه بالسياسة من الأمريكيين، صحيح أنت أكبر مني سناً، واستدرك قائلاً: كم سنة عمرك؟

قلت: أربعون سنة.

قال: إذن أنت أخي، ولكن بالتجربة ثبت لي ذلك. الموت أحسن من البقاء، وكذلك للشباب!!

سألته: هل يوجد مقاتلون عرب معكم في القتال الدائر؟

قال: لا، لا يوجد، فقط يوجد ثلاثة إيرانيين، بينهم امرأة واحدة فجّرت نفسها في عربة أميركية، امرأة واحدة تساوي ألف رجل!

ثم سألني عن لبنان، وعن الحوزات العلمية فيه، فشرحت له عنها.

سألته عن الشيخ حسن الزرقاني، وهل أنه يمثله في بيروت؟

فتململ قليلاً وقال: ليس بهذه الصورة، ولكن أداءه جيد.

قلت: لم تجبني على سؤالي؟

قال: مو إحنه[1]، لا يوجد عندنا عمل مركزي مثلكم، أنا كل واحد أضعه في مكان، أراقب حركته فإذا كان تصرفه جيداً أثبّته، وإن لم يكن جيداً أعزله.

قلت: هل هو مسؤول العلاقات الخارجية لكم في بيروت؟

قال: إي نعم.

سألته عن علاقته بالسيدة رباب الصدر؟

قال: نعم توجد علاقات عائلية، وعن طريق النساء.

دخل علينا السيد محمد رضا وقال لي: عاود الاتصال ثانية بالدكتور قاسم لنرى جوابهم. اتصلت بالدكتور قاسم وسألته عن الموقف؟ فأجابني: بأن الجماعة غير مقتنعين، ويقولون نحن لا نثق بالرجل، ومع ذلك أعطني بعد نصف ساعة، لأن النقاشات مستمرة.

بعد ذلك بقليل، اتصل السيد عبد العزيز الحكيم بالسيد محمد رضا، وقال: الحكومة مضطربة، والجماعة غير مقتنعين بهذا الاقتراح، فما هي الضمانات؟

قال السيد محمد رضا: يمكن للسيد مقتدى أن يوقّع على ورقة مكتوبة.

فقال: هذا لا يكفي، هل تطلب المرجعية هذا الأمر، وتتحمل مسؤولية ما يحدث؟

---

(١) أي: لأنه نحن.

فأجابه السيد محمد رضا: سأعطيك الجواب فيما بعد.

نزل السيد محمد رضا، ودخل الغرفة، وكنت جالساً مع السيد مقتدى الصدر، وطلبني لخلوة، فاعتذرت من السيد مقتدى، وخرجت، فأخبرني السيد محمد رضا بما دار بينه وبين السيد عبد العزيز الحكيم، وقال: المسألة خطرة ولا تخلو من مجازفة، فماذا تقول؟

قلت: أنا شخصياً أحسست الصدق في نبرات كلام السيد مقتدى، فما شعورك أنت؟

قال: صحيح، وأنا أيضاً أشعر بذلك.

قلت: أنا مقتنع بأن يطلب سماحة السيد ذلك، ثم إنّ خياراتنا محدودة، الخيار البديل هو استمرار المعارك، وسقوط الهدنة، والرأي الأخير ما يراه سماحة السيد.

دخل السيد محمد رضا على سماحة السيد وأخبره بالاتصالات الأخيرة، والآراء المختلفة للتعاطي مع الموضوع.

بعد فترة وجيزة، دخل علينا السيد محمد رضا، وكنت جالساً مع السيد مقتدى، وقال للسيد مقتدى: إن الحكومة لا توافق على هذا المقترح إلّا إذا طلب سماحة السيد شخصياً السماح بدخول الزوار إلى المدينة القديمة، ولا يتيسّر لسماحة السيد أن يطلب ذلك إلا إذا كنت تضمن خروج عناصر جيش المهدي مع الزوار.

قال: شلون يعني أضمن، أنا مستعد أن أُوجّه نداء وأطلب منهم إخلاء الحرم والصحن.

قال السيد محمد رضا: وإن لم ينفذوا طلبك؟

قال: هم جماعتي وسينفذون طلبي إلا العدد القليل منهم.

قال السيد محمد رضا: وكم نسبة الذين تتوقع أن ينفذوا أمرك؟

قال: خمس وتسعون بالمائة ولا يتجاوز المتخلفون عن خمسة بالمائة.

قال السيد محمد رضا: وماذا نصنع بهؤلاء المتخلّفين؟

قال: أنا أكتب براءتي منهم وليصنعوا بهم ما يشاؤون.

قال السيد محمد رضا: الموضوع خطر لا يجوز أن تفقد المرجعية مصداقيتها أمام الحكومة، لا بد أن تتأكد من خروج هذه العناصر من المدينة.

قال: أنا شأكدر أسوي[1] أكثر من ذلك.

رجع السيد محمد رضا إلى سماحة السيد وأخبره بأن السيد مقتدى مستعد لأن يوثّق كتابيًا خروج عناصر جيش المهدي من النجف.

قال له سماحة السيد: إذاً أبلغ الحكومة بأنني أطلب منها السماح للزائرين بالتوجه إلى الصحن الشريف وإن كنت لا أرغب في أن أطلب من الحكومات شيئاً! ولكن لا خيار لي غير ذلك.

فجاء السيد محمد رضا إلى غرفتنا وقال لي: (سماحة السيد يضمن الأمر)، فتوجّهت إلى السيد مقتدى وقلت له: يا سيد مقتدى

(١) أي: ماذا أستطيع أن أفعل.

الآن ماء وجه المرجعية في الواجهة، إن شاء الله تسير الأمور بصورة طبيعية.

قال: إن شاء الله.

ثم صعد السيد محمد رضا إلى السطح، واتصل بالدكتور قاسم داود وأبلغه بموافقة سماحة السيد على توجيه هذا الطلب إلى الحكومة.

فقال الدكتور قاسم داود: نعم، ولكن العدد الذي سوف يُسمح لهم بالدخول ينبغي أن يكون محدوداً كألفي شخص تحسباً لما يمكن أن يحدث لو تخلّف السيد مقتدى عن التزامه.

قال السيد محمد رضا: لا بدّ من بحث هذا الأمر معه.

نزل السيد محمد رضا عن السطح ودخل علينا (أنا والسيد مقتدى) ووجّه كلامه للسيد مقتدى قائلاً: إن الحكومة قررت أن تسمح لألفي شخص بالدخول إلى الصحن.

فقال السيد مقتدى معترضاً: إن مقاتلي جيش المهدي في المدينة القديمة هم ألفا شخص، أقلّ شيء يدخلون عشرة آلاف شخص حتى يستطيعوا أن يختلطوا معهم ويخرجوا.

فاقترح السيد محمد رضا أن يقبل بنصف هذا الرقم، فوافق.

عاد السيد محمد رضا واتصل بالدكتور قاسم داود واستحصلوا موافقته أيضاً على ذلك.

ثم توجّه إلى غرفة سماحة السيد وأخبره بما جرى فأمره سماحته باستحصال توقيع السيد مقتدى على المبادرة والنداء

المكتوب منه إلى عناصر جيش المهدي بالخروج. فأعدّ السيد محمد رضا تمهّداً مكتوباً على لسان السيد مقتدى الصدر، بأن يغادر جيش المهدي قبل الساعة العاشرة صباحاً، فاطّلع عليه السيد مقتدى، وقال للسيد محمد رضا: «سيدنا، هذا أنت كاتبه، خليني أكتب على طريقتي، (هذوله)[1] جماعتي يفهمون كلامي». فأعطيناه ورقة كتب عليها النص الآتي:

باسمه تعالى

إلى إخوتي في جيش الإمام المهدي (عج) أرجو منكم رجاءاً أكيداً بل هو لزام عليكم إذا جاءت الحشود المسالمة بل المناصرة لأمير المؤمنين ﷺ فاخرجوا معهم من دون سلاح من مدينتي الكوفة والنجف في مدة أقصاها العاشرة صباحاً من يوم غدا الجمعة، ولا تعصوا الأوامر وإلا كان فيه الضرر الكبير عليّ وعليكم وإنها لأوامر المرجعية والحوزة العلمية فأطيعوا واسمعوا، ولا تكونوا ممن عصى فتهلكوا وأنتم يا إخوتي دافعتم ولم تقصروا طرفة عين ودافعتم عن إمامكم خير دفاع فجزاكم الله خير جزاء المحسنين.

مقتدى الصدر

٩ رجب ١٤٢٥

(انظر الوثيقة رقم ٢١).

كما كنا قد أعددنا ورقة فيها البنود الخمسة ـ الاتفاق ـ فقال لي السيد محمد رضا: اتصل بالدكتور قاسم وأخبره بموقف سماحة

---

(١) أي: هؤلاء.

السيد الضامن لخروج الجميع من الصحن، فصعدت إلى السطح، واتصلت بالدكتور قاسم داود، وتلَوت عليه نص الاتفاق، ورسالة السيد مقتدى، وكان يدونهما، وقلت له: المرجعية تطلب أن يتحقق هذا الموضوع وتضمنه.

فقال: نحن بخدمة المرجعية، وأنا بانتظار أن أسمع عبر وسائل الإعلام طلبكم من الحكومة المراقبة السماح بدخول مجاميع منظمة من الزائرين إلى الحرم العلوي على أن يخرجوا غداً صباحاً الساعة العاشرة.

قلت: سأفعل.

نزلت وأخبرتهم بما تمّ الاتفاق عليه، وطلبنا من السيد مقتدى أن يوقّع على ورقة الاتفاق ويختمه بختمه، فأخرج من جيبه ختمه الخاص وختم على ورقة الاتفاق. وقال: أنتم ألا توقّعون؟ فأجابه السيد محمد رضا إنه سيختمه بختم مكتب سماحة السيد، ولكنه غير متوفر الآن، لأن ختم المكتب في المدينة القديمة ولا نحمله معنا الآن.

وهذا نص الاتفاق الذي على أساسه حُلّت أزمة النجف:

باسمه تعالى

إن سماحة السيد السيستاني دام ظله يدعو إلى ما يلي:

أولاً: إعلان مدينتي النجف الأشرف والكوفة خاليتين من السلاح وخروج جميع العناصر المسلحة منهما وعدم عودهم إليها.

ثانياً: تولي الشرطة العراقية مسؤولية حفظ الأمن والنظام في أرجاء المدينتين.

ثالثاً: خروج القوات الأجنبية منهما.

رابعاً: تعويض الحكومة العراقية جميع المتضررين في الاشتباكات الأخيرة.

خامساً: مساهمة جميع القوى والتيارات الفكرية والاجتماعية والسياسية في خلق الأجواء المناسبة لإجراء التعداد السكاني ومن ثم الانتخابات العامة التي من خلالها يمكن استعادة السيادة الكاملة.

٩/ رجب/ ١٤٢٥ هـ

مكتب السيد السيستاني النجف الأشرف

فعلّق عليها السيد مقتدى بهذه العبارة:

باسمه تعالى

هذه طلبات بل أوامر المرجعية وأنا مستعد لكل تنفيذ لأوامرها الكريمة مع فائق الشكر.

٩/رجب/١٤٢٥هـ

مقتدى الصدر

(انظر الوثيقة رقم ٢٢).

ثم طلبت حضور مندوبي وسائل الإعلام، وكانوا يقيمون في فندق بحر النجف. وبانتظار قدومهم، كنت جالساً مع السيد مقتدى الصدر، فسمعنا هدير طائرة هليكوبتر فوق سماء المنزل. فقال لي: هذه الطائرة تحوم حول المنزل من أجلي؟ هل عرفوا بوجودي عندكم؟

قلت: لا أدري، ولكن هناك شرطة خارج المنزل، وقد يكونون قد شاهدوك وأنت تدخل إلى المنزل، ونحن فوجئنا بقدومك، لأننا كنا نعمل على أن نأخذ ضماناً من الحكومة بعدم التعرض إليك عندما تأتي.

قال: أنتم غير ضامنين لي.

قلت: سوف تنام عندنا هذه الليلة، ولن تخرج، حتى نتأكد من تأمين الوضع بشكل كامل.

قال: أنا لا أكلّفكم شيئاً.

ثم تناولنا العشاء سوية بحضور السيد محمد رضا السيستاني، وكان العشاء خبزاً ودجاجاً مشوياً. وكنا نأكل أنا والسيد مقتدى في

صحن واحد، فقال مبتسماً: من كان يصدّق أنا ومدير مكتب السيد السيستاني في بيروت الحاج حامد نأكل في صحن واحد؟

بعد فترة وجيزة حضرت وسائل الإعلام بكثافة، ضاقت بها حديقة المنزل، وكانت الساعة قد قاربت العاشرة ليلاً، فعقدت مؤتمراً صحفياً أعلنت فيه مبادرة المرجعية لحل أزمة النجف، وموافقة الحكومة العراقية والسيد مقتدى الصدر عليها. وطالبت الحكومة العراقية بالسماح للجماهير المحيطة بمدينة النجف دخول الحرم العلوي لأداء الزيارة.

وأتذكر أن نصّ الطلب الذي أعلنته كان بالصيغة التالية: «إن مكتب سماحة السيد السيستاني دام ظله يطلب من الحكومة العراقية أن تسمح للزائرين المدنيين الدخول إلى الحضرة العلوية المطهرة بمجاميع منتظمة على أن يغادروا في فترة أقصاها غداً الجمعة الساعة العاشرة صباحاً».



عندما أنهيت المؤتمر الصحفي، وعدت إلى داخل المنزل كان السيد مقتدى قد غادره. وبعد ساعة عقد الدكتور قاسم داود مؤتمراً صحفياً وأعلن موافقة الحكومة المراقية على طلب سماحة السيد السيستاني.

الورقة الموجهة من قبل السيد مقتدى لأفراد جيش المهدي المتواجدين في الصحن الشريف كان يُفترض أن تصلهم في تلك الليلة، ولكن تأخُر الوقت، وتوتُر الأوضاع الأمنية داخل المدينة حال دون ذلك.

في يوم الجمعة ٢٠٠٤/٨/٢٧، استيقظنا مبكرين حدود الساعة الرابعة والنصف صباحاً، بعد ليلة حافلة بالمتاعب والمصاعب. أرسلنا الرسالة التي وجهها السيد مقتدى الصدر لأعضاء جيش المهدي يأمرهم فيها بالخروج من الصحن الحيدري الشريف، أرسلناها إلى مكتب سماحة السيد السيستاني في النجف القديمة لتصويرها لأن هذا الأمر تعذّر ليلاً، نظراً لتردي الوضع الأمني، وانقطاع الكهرباء. وكلّفنا الشيخ حيدر الحمزاوي أن يسلّم الرسالة إلى الشيخ أحمد الشيباني داخل الصحن الحيدري. وبالفعل تمكّن الشيخ حيدر من إيصال الرسالة في حدود الساعة الثامنة صباحاً، وأذيع النداء من سماعة الحرم العلوي إلى جيش المهدي الموجودين في الحرم يدعوهم للخروج منه في مدة أقصاها الساعة العاشرة.

كما كلّف مكتب سماحة السيد السيستاني السيد محمد رضا الغريفي ليتوجه مع ثلاثة من طلاب العلوم الدينية إلى الحرم الحيدري وينسّقوا مع الشيخ أحمد الشيباني مسألة تسلّم الحرم بعد خروج المقاتلين منه.

في حدود الساعة التاسعة، شعرنا أن الوقت ضيق جداً، وأن الأخوة في الحرم الحيدري بحاجة إلى وقت أكثر، فقد أبلغونا بصعوبات تواجههم في عملية الإخلاء. وعلى هذا الأساس اتصلت بالدكتور قاسم داود وطلبت منه تمديد الموعد إلى الساعة الثانية عشرة ظهراً بدلاً من الساعة العاشرة، فاستجاب لهذا الطلب.

حاولت الاتصال بمحافظ النجف عدنان الزرفي، لأبلغه بالموافقة على التمديد، فلم أتمكن من ذلك، لتردي الخطوط الهاتفية، فتوجهت إلى مقرّ المحافظة، والتقيت المحافظ وأخبرته بموافقة الدكتور قاسم داود على تمديد الفترة إلى الساعة الثانية عشرة، فوافق على ذلك، ولكنه قال: أنا أعرف هؤلاء، إنهم يسوّفون، انتبهوا.

كانت الأجواء متوترة، وكنا نتابع أخبار الصحن لحظة بلحظة، لأن كل شيء قابل للانفجار، حينها ستقوض كل الجهود.

في الساعة الحادية عشرة والنصف اتصل الأخوة من الحرم العلوي وأخبرونا بحاجتهم إلى تمديد آخر إلى الساعة الواحدة، وأنهم أخلوا نصف الصحن، ولا يستطيعون إخلاء الصحن بكامله خلال فترة نصف ساعة.

ذهبت ثانية إلى المحافظ عدنان الزرفي، وطلبت منه تمديد المهلة إلى ساعتين. فرفض الاقتراح وقال: أنا لا أتأخر لحظة واحدة عن الساعة الثانية عشرة، هؤلاء يكذبون ويريدون استغلال الوقت.

اتصلت هاتفياً بالدكتور قاسم داود، وصعّدتُ لهجة الكلام،

وطلبت منه التدخل الفوري للموافقة على تمديد المهلة حتى الساعة الثانية ظهراً، لاسيما أن وقف إطلاق النار الذي أعلنته الحكومة العراقية يوم أمس، ينتهي عند الساعة الثالثة من ظهر اليوم، ومن غير المعقول أن نعود إلى نقطة الصفر، من أجل ساعة أو ساعتين. وافق قاسم داود على التمديد، وأبلغ المحافظ بالأمر. ورجعت إلى المنزل الذي ينزل فيه مؤقتاً سماحة السيد في حي السعد، بانتظار الانتهاء من إخلاء الحرم العلوي ضمن الفترة الممدّدة من قبل الحكومة.

من الأمور التي ناقشتُها مع المحافظ، هو أن الشيخ أحمد الشيباني كان قد أخبر الأخوة في الصحن، إنه من غير الصحيح إخلاء شوارع المدينة لأن ذلك يولد فراغاً أمنياً، وقد تتعرض المدينة للسلب والنهب، ولذلك فهم يحتاجون إلى وقت وتنسيق لتسليم المدينة. أخبرت المحافظ بذلك، فقال: هذا الكلام غير صحيح، فلا داعي لهذه التبريرات، نحن جاهزون لملء الفراغ.

في الساعة الثانية عشرة والنصف اتصل الأخوة من داخل الصحن الشريف وقالوا: إن الشيخ أحمد الشيباني أوقف عملية الإخلاء بحجة أن بعض المقاتلين الذين خرجوا من الصحن تمّ اعتقالهم في شارع المدينة[١]، وفي أماكن أخرى من النجف، وأن المقاتلين بدأوا بالرجوع إلى الصحن.

قلت لهم: هذا كلام غير دقيق، كيف يعرفون عناصر جيش المهدي من بين الناس؟

---

(١) هو الشارع الذي يربط بين نهاية شارع الرسول وشارع أبو صخير.

قالوا: لا ندري الوضع متوتر جداً.

قلت لهم: أريد التحدث مع الشيخ أحمد. فحوّلوا سماعة الهاتف له. فسلّمت عليه وقلت له: يا شيخ أحمد هناك ضمان بأن لا يُعتقل أي فرد من أفراد جيش المهدي. فأجابني: هذا غير صحيح، اعتقلوا لنا جماعة، وهؤلاء أناس لا ضمان ولا عهد لهم.

قلت: يا شيخ أحمد تحقّق من معلوماتك، فالمرجعية ضامنة لكل العملية.

قال: أنا متأكد من المعلومات، والمقاتلون بدأوا بالرجوع إلى الصحن، ونحن لا نخرج في هذا الوضع. وحوّل سماعة الهاتف للأخوة الموجودين من قبلنا في الحرم، الذين قالوا لي: نرى أن الوضع سيء جداً، ونخشى أن يفلت الأمر برمته.

أخبرت السيد محمد رضا بالحالة، فقال لي: يا حاج حامد اذهب أنت إلى الصحن وحاول إيجاد حلّ للموضوع هناك.

دعوت مجموعة من طلاب العلوم الدينية، وتوجهت فوراً إلى الحرم الشريف، يرافقنا ممثل عن المحافظ، وكنا في موكب من خمس سيارات ـ حسبما أتذكر ـ سلكنا طريق شارع المدينة، ثم الشوارع الجانبية في منطقة الجديدة، ووصلنا إلى شارع السور، حيث وجدنا الدبابات والمدرعات الأميركية مرابطة تحديداً في (فلكة شارع الرسول).

كانت المناظر كريهة جداً، فالدّمار قد ترك آثاره على البيوت والمحلات، ورائحة الموت والخوف تنبعث من بين المشاهد المؤلمة، الشوارع كانت خالية إلا من القطط والكلاب، كنت في مقدّمة

الموكب، تتقدّمني فقط السيارة التي يستقلّها ممثل المحافظ. توقّف الموكب على بعد عشرين متراً من الدبابات الأميركية التي كانت تحاصر مدخل شارع الرسول. توجّه ممثل المحافظ مشياً على الأقدام باتجاه الأمريكان، تحدث معهم لدقائق ثم أشار للموكب ليكمل سيره. فتحرّك الموكب باتجاه الدبابات والمدرّعات الأميركية، وتجاوزناها، ودخلنا شارع الرسول باتجاه باب القبلة، وعندما وصلناها، ترجّلنا من السيارات، ودخلنا الحرم العلوي من الباب المقابل لسوق العمارة القديم.

إخراج مقاتلي جيش المهدي من الصحن العلوي الشريف

عندما دخلنا الصحن الحيدري الشريف، هالني ما رأيت، فالفوضى كانت تعمّ المكان، والأحذية مبعثرة في أرجائه، فلم أتمالك نفسي، وبشكل لا شعوري، أجهشت بالبكاء لدقائق أمام أعين من رافقني من الأخوة، وكذلك عناصر جيش المهدي المتواجدين هناك.

كان الألم يعتصرني لما آلت إليه الأوضاع. هل هذا هو المكان الذي يعج بأصوات الزائرين، وابتهال الداعين، ويتزيّن بحلقات العلم بعد آذان الفجر؟! أين صلوات الجماعة؟ أين حمامات الحرم التي ما فتئت أقدّم لها حبات الحنطة وأنا طفل صغير؟! في كل غرفة من غرف هذا الصرح، ثمّة حضور للتاريخ وللحضارة والعلم، يلوذ بأعتاب علي ﷺ، فماذا حدث؟!

توجّهتُ نحو دار الضيافة ـ داخل الحرم ـ حيث كان الشيخ

أحمد الشيباني يعقد مؤتمراً صحفياً، ووجدت هناك السيد محمد رضا الغريفي والإخوان وبعض الصحفيين. كانت الأجواء متوترة جداً. التقيت الشيخ أحمد بعد أن أنهى مؤتمره الصحفي الذي صعّد فيه الموقف، وسلّمت عليه، وقلت له: ما هي المسألة، لماذا التراجع عن تنفيذ ما تم الاتفاق عليه مع السيد مقتدى الصدر من ضرورة خروج المقاتلين في الساعة العاشرة مع الزائرين؟

فقال: لقد وصلتني رسالة السيد مقتدى في حدود الساعة الثامنة صباحاً فكيف أتمكن من إخراج الجميع خلال ساعتين، ثم إن الأمريكيين سوف يعتقلوننا بمجرد خروجنا.

قلت: لا يوجد أي أمر بالاعتقال، وهذا جزء أساسي من الاتفاق مع الحكومة العراقية.

قال: هؤلاء غير صادقين، اعتقلوا مجموعة من شباب جيش المهدي في ساحة ثورة العشرين، وفي شارع المدينة، والآن الشباب بدأوا يعودون إلى الصحن.

قلت: كيف اعتقلوا هؤلاء الشباب؟ هل كتب على جباههم أنهم عناصر جيش المهدي؟ أعطني قائمة بأسمائهم. فأعطاني ورقة صغيرة فيها اسمان.

اتصلت بالمحافظ وسألته عنهما، وعن حقيقة الاعتقالات التي حدثني عنها الشيخ أحمد. فأجابني: إن هذا غير صحيح، لا توجد أية اعتقالات، هذه أوامر من السلطات العليا ولا يمكن تجاوزها، وبإمكانهم أن يخرجوا وسوف لن يتعرّض لهم أحد. نعم هناك شخص واحد اعتقل في ساحة ثورة العشرين ـ وهو أحد الاسمين اللذين

ذكرتهما ـ لأنه كان يحمل سلاحاً، وسوف يطلق سراحه فوراً، أما الشخص الثاني فلا نعرف عنه شيئاً، وسوف أبلّغ عنه المراكز كافة، وفيما لو كان عندنا فسوف يطلق سراحه أيضاً.

كان مراسل تلفزيون العربية ديار العمري متواجداً في الصحن الشريف، وقد أجرى معي مقابلة سريعة، سألني فيها عن توتر الأجواء واحتمال فشل المبادرة من خلال الاعتقالات الجارية وتصريحات الشيخ أحمد الأخيرة. فأجبته: إن الأمور بخير، وتمّ استيعاب المشكلة، وكان هناك معتقل تم إطلاق سراحه، ولو تسأل الشيخ أحمد الآن فسوف يجيبك بشكل إيجابي، وأنا أُبشّر النجفيين أنهم سينامون ليلة هانئة.

قلت للشيخ أحمد: يجب أن نُخْلي الصحن بأسرع وقت، لأن المهلة المحدودة بدأت بالنفاذ، وأنا أقترح عليك أن تحدد مجموعة المقاتلين الذين تخشى عليهم من الاعتقال، بعد ذلك نخرج سوية من الحرم، أنا لدي خمس سيارات متوقفة في باب الصحن، يركب الشباب بها، وتركب أنت معي في سيارتي، فإما أن نعبر الحواجز الأميركية معاً أو نُعتقل معاً، أو نُقتل معاً، هل أستطيع أن أفعل شيئاً غير ذلك؟ قال: لا، جزاك الله خيراً. ووافق على الاقتراح.

بدأنا بتجميع آخر من تبقى من الشباب، لنخرج بشكل منظّم ومدروس معاً. فوجئت ـ وأنا بالطرف الآخر من الصحن ـ بأن الشيخ أحمد الشيباني خرج مع بعض الشباب من باب (سوق العمارة) فتوجهت راكضاً إلى هناك، فوجدت الشيخ أحمد مع مجموعة من الشباب خارج الحرم قرب الباب وحوله مجموعة من وسائل الإعلام،

وكان الشباب يصرخون بهتاف عالٍ: (علي وياك علي)، فتدخلت بقوّة وأمسكت الشيخ أحمد من يده ورجوته أن يدخل الصّحن ثانية، وأتذكر أن كاميرا تلفزيون العربية كانت تلاحقنا بالتصوير، فصرخت بوجه المصور بشدة وطلبت منه الابتعاد، وعدم المتاجرة بمصائبنا وآلامنا، وأدخلت الشيخ أحمد ومن معه ثانية إلى الحرم، وقلت له: اتفقنا أن نخرج سوية وبهدوء، لأننا لا نريد افتعال مشكلة. قال: لا أدري، الشباب طلبوا مني الخروج.

المشكلة أنني كنت أخشى انفلات الوضع بأية لحظة، لأن الأجواء كانت غاية في التوتر، كنت ألاحظ الغضب في عيون عناصر جيش المهدي من جهة، وتأهب القوات التي تحاصر الصحن الحيدري من جهة أخرى. بعد ما جرى ثمة حاجز كبير من عدم الثقة بين الطرفين، يمكن أن يترجم إلى إطلاق نار عند أدنى خلل في تطبيق الاتفاق الطري العود، وإذا أُطلقت رصاصة واحدة فإن المدينة سوف تشتعل برمتها ثانية، لأن المقاتلين لا يزالون في المدينة القديمة وفي أطرافها، وسلاحهم خرج معهم ولم يُسلّم لأي جهة. كما أن القوات الأميركية والعراقية جاهزتان للمواجهة في أية لحظة.

الخروج غير المدروس من الصحن العلوي الشريف في أجواء يسيّرها العقل الجمعي، المشحون بهتافات حماسية، كان يوفر الأجواء المناسبة لتقويض المبادرة، وربما كان هناك من أراد أن يصطاد بالماء العكر، ولم يرق له انتهاء المشكلة بشكل هادئ وسليم.

طفنا داخل الصحن الشريف، وتأكدنا من تجمّع الشباب كافة وخرجنا سوية من باب الصحن لسوق العمارة، وأبقينا داخل الصحن،

خمسة من الشباب التابعين لمكتب سماحة السيد السيستاني، وأُغلقت الأبواب كاملة.

توجهنا إلى باب القبلة، حيث كانت سياراتنا متوقفة هناك. كان الشيخ أحمد الشيباني ومجموعته حوالي أربعين شخصاً. قلت له: الشباب الذين تخشى عليهم من الاعتقال، ولا يمكن تركهم، نصطحبهم معنا في السيارات، والآخرون يتفرقون بين أزقة المدينة القديمة. فوافقني الرأي وجمع حدود عشرين شخصاً. في كل سيارة ركب رجل دين من مكتب سماحة السيد السيستاني ومعه أربعة من عناصر جيش المهدي. ركب معي الشيخ أحمد الشيباني، وأركب معه شخصاً كان يهتم لأمره، عرفت أنه السيد حسام الحسيني، وهو من الوجوه البارزة في التيار الصدري.

انطلقت السيارات من باب القبلة، واخترقت شارع الرسول، وكانت سيارتي في المقدمة. وصلنا إلى حاجز القوات الأميركية في فلكة شارع الرسول. ترجّل ممثل المحافظ وتقدّم إلى الأمام، وتكلم معهم لمدة دقائق، كانت من أصعب الدقائق التي مرّت علينا. في تلك اللحظات كان يُمكن لأيّ مغرضٍ أو جاهلٍ أو متعصب أو ناقم، أن يشعل فتيل البارود. حياة ركاب هذا الموكب كانت في مهب الريح. القتل أو الاعتقال أمور متوقّعة في مبادرات أمنية تمارس على الأرض، ولكن الأخطر، هو انقطاع حبل النجاة الأخير، وقتل مبادرة المرجعية التي لا يرجى بعدها مبادرة!!

بعد دقائق ثقيلة، انحبست فيها الأنفاس، أشار ممثل المحافظ ـ بعد حواره مع القائد الأميركي ـ علينا بالتحرّك فيما بدا أنه

موافقة للعبور. تحرك الموكب ببطء، وعبر بإزاء الدبابات والمدرعات الأميركية. الرجال المتقاتلون قبل ساعات يلتقون في نقطة العبور، كلٌ يرمق الآخر بنظرة قلق وحنق.

في هذا المكان بالذات، وقف أهالي النجف بصدورهم العارية قبل أكثر من سنة أمام الجنود الأميركان ليقولوا لهم: لا نسمح لكم بالدخول إلى الصحن الشريف، ونقلت ذلك وسائل الإعلام كافة، واليوم يعيد التاريخ نفسه، لتتوقف القوّات نفسها وفي المكان نفسه. هذه المرّة كانت عباءة المرجعية هي السد الذي منع تقدّمهم!!

تنفسنا الصعداء ونحن نعبر أخطر حاجز أميركي كان يطوق شارع الرسول. لم نكن نعرف إلى أين نتجه. خشيت لو أنني أنزلت من معي من السيارات ليتوجه كل منهم إلى مقصده، واعتُقل أحدهم بطريق الصدفة في أي شارع من شوارع النجف سوف يقال: إننا سلمنا عناصر جيش المهدي وقيادته للأمريكيين. فكرت أن أفضل مكان نتوجه إليه في تلك الساعة هو: محل إقامة سماحة السيد السيستاني، في حي السعد لأنه مكان آمن. اقترحت الفكرة على الشيخ أحمد الشيباني فأيّدني على الفور.

اخترقنا شارع المدينة من نهاية شارع الرسول، وتوجهنا إلى حي السعد. في الطريق أخبرني السيد حسام الحسيني بأنهم اعترضوا عدة مكالمات أمس، وإن إحدى المكالمات كانت للمحافظ مع بعض قيادات الشرطة التي تطوّق الصحن، وكان فيها يكيل السباب والشتائم

للعمائم الموجودة في الصحن. ومكالمة أخرى لي مع المحافظ، فمازحته وقلت له: إن شاء الله ما كان بيها كلام يؤذيكم؟ فقال: لا، كانت عادية.

هذا المعنى يفيد أن عناصر جيش المهدي، كانوا يتمتعون إلى حد ما بتقنيّات جيدة على مستوى الاتصالات العسكرية وما شاكل ذلك.

وصلنا إلى منزل الشيخ محمد حسن الأنصاري ـ محل إقامة سماحة السيد ـ وكانت الساعة قاربت الثالثة عصراً. الشيخ أحمد الشيباني ومجموعته كانوا غاية في التعب والإرهاق والجوع، لأن الحصار في الأيام الأخيرة كان حصاراً شديداً نوعاً ما. خلال نصف ساعة أعددنا مأدبة غداء لهم، وتناولنا طعام الغداء معاً.

خلال فترة الغداء جاء العميد غالب الجزائري قائد شرطة النجف مع قائد كتيبة الحرس الوطني في النجف، فاضطّررت إلى ترك الغداء والاجتماع بهم.

قال قائد الحرس الوطني: إن المدينة تشهد فراغاً أمنياً الآن بعد انسحاب عناصر جيش المهدي، ونخشى من وجود جيوب للمقاتلين في أزقّة وشوارع المدينة، وعليه فقد اتُخذ القرار بأن تدخل القوات الأميركية، ونحن معها، لتمشيط المدينة القديمة، وجوار الصحن الشريف.

أجبته: هذا خلاف الاتفاق، القوات الأجنبية يجب أن تخرج من مدينة النجف الأشرف، كما أنني اتفقت مع المحافظ حول هذا

الشأن، وتعهّد لي بأنه سوف يملأ الفراغ الأمني فور انسحاب عناصر جيش المهدي، وأن قواته جاهزة، فما هذا الكلام؟

قال: القوات الأميركية لا تطمئِن إلّا بأن تدخل مباشرة، لتمشيط المدينة، وهم مصرّون على ذلك.

قلت: أخبرهم، أن دخولهم أمر لا يمكن السكوت عنه، وهو خلاف الاتفاق، وإذا دخلوا... فليكن معلوماً، إذا كان السيد مقتدى الصدر وعناصر جيش المهدي يقاتلونهم قبل ساعات، فالآن نحن سنقاتلهم، شباب النجف الأشرف سوف يقاتلونهم.

اضطرب قليلاً، وقال: يا أخي، أنا منكم، وأتفهّم ما تقول، ولكن ماذا أفعل؟ قلت: لا أدري، أبلغهم بما قلت، ولا تنفذ الأوامر. نحن نقبل بأن تدخل قطعات من الحرس الوطني العراقي والشرطة الوطنية العراقية لتمشيط المدينة، وضبط الوضع، وهذا شيء طبيعي وضروري. وفي غير هذه الصورة فإن الأمور ستتعقّد.

غادرا المنزل، وعادا بعد نصف ساعة وقالا: تم الاتفاق على أن تُدخل أرتال من السيارات والمدرعات التابعة للحرس الوطني العراقي لتطوف حول الصحن الشريف والشوارع المحيطة، بالتعاون مع الشرطة الوطنية العراقية، وتقوم بتمشيط المدينة.

رجعتُ إلى الشيخ أحمد الشيباني ومجموعته، وكانوا قد أتمّوا غداءهم وشربوا الشاي، وكانت الساعة قاربت الرابعة والنصف عصراً، فسألته عن الجهة التي يريد أن يقصدها.

فقال: أريد أن أتوجه إلى أهلي، في منطقة الحمزة، ولكن هل يُمكن أن نُسلّم على سماحة السيد السيستاني قبل أن نغادر.

أخبرت السيد محمد رضا، فاستجاز من سماحة السيد الذي أبدى موافقته على استقبالهم. الشيخ أحمد الشيباني كان أول الداخلين عانقه سماحة السيد ورحّب به، فقال الشيخ أحمد: سيدنا أتعبناك معنا.

فأجابه سماحة السيد: لا عزيزي، أنا أحبكم، وأنتم أبنائي، وأنا في خدمتكم.

دخل الشباب الواحد تلو الآخر. كان سماحة السيد يفتح ذراعيه ويحتضنهم، بعضهم بكى على كتف سماحة السيد. وقد كان سماحته يردّد على مسامع كل واحد منهم: أنتم أبنائي، وأنا أحبكم، وأدعو لكم بالخير.

غادر الشيخ أحمد الشيباني برفقة أحد الأخوة من أعضاء مكتب سماحة السيد إلى مدينته (الحمزة)، وحذرت الشيخ أحمد قبل المغادرة أن لا يحمل معه أي سلاح في السيارة، كي لا يعطي المبرر والذريعة لاعتقاله، لأن المدينة مليئة بالحواجز الأمنية والعسكرية، فأكد لي أنه لا يحمل أي سلاح. وهكذا غادر جميع الأخوة، كل ذهب إلى منزله ومقصده.

في الساعة التاسعة ليلاً، أرسل لنا محافظ النجف، أحد عناصر جيش المهدي، الذي اعتُقل صباحاً، وطالب به الشيخ أحمد الشيباني، وأوعدنا المحافظ بالبحث عنه. وبالفعل فقد أرسله لنا ليلاً. فقدّمنا له طعام العشاء، وأوصلناه إلى منزله في الحي العسكري بالنجف.

مراجع الدين في النجف يزورون سماحة السيد:



في يوم السبت ٢٠٠٤/٨/٢٨، زار مراجعُ الدين في مدينة النجف الأشرف سماحة السيد ـ وهم سماحة السيد محمد سعيد الحكيم وسماحة الشيخ محمد إسحاق الفياض وسماحة الشيخ بشير النجفي ـ لتهنئته على سلامة العودة وعلى الانجاز الذي تحقق على يده، وبعد خروجهم بساعات انتشرت إشاعة صحفية كاذبة تقول بأن المراجع أفتوا بعدم جواز قتال القوات الأميركية، ونُسبت الإشاعة لتصريح أدلى به الشيخ علي ابن الشيخ بشير النجفي، فاتصلت به وسألته عن الأمر وحيثياته، فأنكر المسألة، وخرج على قناة الجزيرة، وكذّب الخبر.

ولكن القناة المذكورة وغيرها، استمروا في نشر هذه الكذبة الخبيثة.

اضطُررت للاتصال بقناتي الجزيرة والعربية، وأدليت بتصريح، قلت فيه:

إن هذه الإشاعة الكاذبة تستهدف مصادرة الانتصار الكبير الذي حقَّقته المرجعية الدينية المتمثل في حل أزمة النجف، وأن تاريخ المرجعية يشهد لها بالمواقف الجهادية من ثورة العشرين إلى اليوم، وأن على أبناء المرجعية والمؤمنين في كافة أنحاء العالم أن ينتبهوا لمثل هذه الإشاعات التي تشكك بجهاد مراجعهم، وهم يعرفون أن المرجعية الدينية تعبر عن آرائها من خلال بيانات واضحة وصريحة تحمل ختمها وإمضاءها.

ومع كل هذا النفي المتكرر والصريح، فإن هذه الإشاعة الكاذبة وجدت لها مرتعاً في بعض دهاليز الإعلام الأسود.

تسلّم مسجد الكوفة

عصراً، اتصلوا من قبل السيد مقتدى الصدر، وطلبوا على لسانه أن تتسلّم المرجعية مسجد الكوفة، كما تسلّمت الصحن الحيدري.

فقال السيد محمد رضا: المرجعية لا تريد أن تتسلم مسجد الكوفة، ولكن إذا طلب السيد مقتدى هذا الموضوع برسالة واضحة، فنحن مستعدون لذلك.

وبالفعل، وجه السيد مقتدى رسالة إلى جيش المهدي المتواجد في مسجد الكوفة بالخروج منه وتسليم مفاتيحه للمرجعية الدينية.

ونص الرسالة:

باسمه تعالى

إلى الأخوة في مسجد الكوفة المعظم أرجوا تسليم المسجد إلى مكتب السيد السيستاني (دام ظله) كما هو متفق عليه سابقاً، وحسب فهمي أن صلاة الجمعة ستستمر، من رغم كل المصاعب، فاتقوا الله وكونوا قوامين بالقسط، وأنتم لم تقصروا طرفة عين يا أخوتي الأعزاء فشكراً لك.

مقتدى الصدر

١٢ رجب ١٤٢٥

(انظر الوثيقة رقم ٢٣).

وفود رسمية وشعبية تزور سماحة السيد

مساء، زار وفد حكومي وزاري سماحة السيد، ترأس الوفد الدكتور قاسم داود، وضمَّ في عضويته وزير الاتصالات الدكتور محمد علي الحكيم، ووزير الصحة الدكتور علاء عبد الصاحب العلوان، ووزيرة البيئة نسرين برواري، ووزير الدولة عدنان الجنابي.

هنّأ الوفد سماحة السيد على وصوله سالماً إلى مدينته، وشكروه على جهوده الكبيرة التي أحلت السلام في مدينة النجف، وأكّدوا له جديتهم في البدء بورشة إعمار النجف. فأوصاهم سماحة السيد بضرورة بسط الأمن في المدينة، قبل البدء بورشة الإعمار، إذ لا فائدة من الإعمار من دون أمن. كما أوصاهم بضرورة الحفاظ على الخصوصية التراثية والحضارية لمدينة النجف في أي مشروع إعماري، وأهمية الاعتماد على متخصصين في شؤون التراث والتاريخ في أي عمل عمراني، وأن أي أعمال تحديثية في عمران النجف يجب أن لا تمسّ الملامح التاريخية في المدينة.

في يوم الأحد ٢٩/٨/٢٠٠٤، تقاطرت الوفود الرسمية والدينية والشعبية في كل أنحاء العراق، يهنئون السيد بمناسبة عودته إلى أرض الوطن، وإحلال السلام.

مساءً، قرر سماحة السيد العودة في اليوم التالي إلى منزله في المدينة القديمة، رغم تمنيات الكثيرين بالتريّث لأن الأوضاع العامة في المدينة لا زالت متوترة، إلاّ أن سماحته أبى إلا العودة، وأذكّر: أن سماحته حتى ذلك الوقت لم يلتق عائلته الخاصة، التي صمدت في النجف طيلة هذه المدة.

سماحة السيد يزور مرقد الإمام أمير المؤمنين ﷺ ويعود إلى منزله

في يوم الإثنين ٢٠٠٤/٨/٣٠، المصادف ١٣ رجب ١٤٢٥، يوم ولادة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ. في الساعة السابعة وخمس وأربعين دقيقة صباحاً، غادر سماحة السيد السيستاني محل إقامته المؤقت في حي السعد، متوجهاً إلى زيارة جده أمير المؤمنين ﷺ. وصلنا إلى الصحن الحيدري الشريف الساعة الثامنة.

رغم مجاورة سماحة السيد لمقام الإمام علي ﷺ فإنه حُرم من زيارته لسنوات طوال، نتيجة الحصار الظالم إبّان النظام السابق، ولتردي الأوضاع ووجود الاحتلال فيما بعد. للمرّة الأولى بعد هذه السنوات العجاف يزور سماحة السيد مرقد الإمام علي ﷺ. كانت الأجواء مؤثرة جداً. كانت عيون سماحة السيد تترقرق بالدموع وهو يدخل من باب القبلة. الصحن كان لا يزال مغلقاً أمام الزائرين، وكان خالياً. أتمّ سماحة السيد مراسيم الزيارة والدعاء، وزرنا معه، في أجواء روحية مفعمة بالتقوى ومحبة أهل البيت ﷺ. وتمّت موافقة سماحة السيد على التقاط بعض الصور أثناء زيارته للمرقد الشريف، والمعروف أن سماحته يتضايق من أخذ الصور والأفلام، وما شابه ذلك. ولطالما عانينا من هذه المسألة، فما بين رغبة الناس في أن يشاهدوا سماحة السيد وحركاته وسكناته وإطلالته، وما بين عزوف سماحته عن هذه الأمور، تقع إحراجات كثيرة.



سماحة السيد يزور الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ داخل الحضرة الشريفة.



سماحة السيد داخل الحضرة الشريفة لأمير المؤمنين ﷺ
مع مجموعة من مرافقيه



سماحة السيد ونجله السيد محمد رضا ومجموعة من مرافقيه
داخل الصحن العلوي

عندما أنهى سماحة السيد زيارة أمير المؤمنين ﷺ، توجه إلى زيارة قبر أستاذه السيد الخوئي (قدس سره)، من بوابة الغرفة المفتوحة على الصحن الشريف. جلس قرب القبر وتلا سورة الفاتحة، ثم خرج، وقبل الخروج من باب القبلة، توقف سماحته عند مقبرة الشيخ مرتضى الأنصاري (قدس سره) وتلا سورة الفاتحة، ثم خرج من باب القبلة، باتجاه منزله الذي يبعد حدود أقل من خمسين متراً عن الصحن الشريف، في منطقة (البراق)، وأغلقت أبواب الصحن الحيدري الشريف ثانية.

استمرار التوتر في أجواء المدينة

مساءً، جاءنا وفد من مكتب السيد مقتدى الصدر، كان فيه السيد هاشم أبو رغيف وشخص آخر وقالوا: جاءت سيارات (شفلات) من قبل المحافظ، وأزالت نقاط الحراسة القريبة من منزل السيد مقتدى، وهو منزعج جداً من هذا التصرف، وقد يضطّر إلى تصعيد الموقف.

قلت: سأستوضح الأمر، وأخبركم فيما بعد. اتصلت بالمحافظ عدنان الزرفي وسألته عن المشكلة فقال: هذه النقاط التي أزلناها فيها تعدّي على الممتلكات العامة، لأنها موجودة في الشوارع العامة.

قلت له: إذا كان الأمر كذلك، فيجب أن تزيلوا أولاً التجاوزات الموجودة في نقاط الحراسة في الشوارع المحيطة بمنازل الشخصيات الأخرى في النجف، ومن ثم تذهبون لإزالة النقاط الخاصة بمنزل السيد مقتدى!! هذا الكلام غير دقيق، المدينة خارجة لتوّها من

معارك عنيفة، نحن نحتاج إلى تهدئة للنفوس، لا إلى الاستفزاز، وعليه يُفترض أن ترسلوا مندوباً عنكم إلى الأخوة ليتفاهموا على هذه الأمور، من دون تصعيد أو استفزاز، فأوعدني خيراً.

أرسلت خبراً إلى مكتب السيد الشهيد الصدر، وجاء الأخ السيد هاشم أبو رغيف ثانية، وأوضحت اتصالي وجواب المحافظ، وأنه عيّن رابطاً سوف يتواصل معهم لحل هذا الإشكال. فشكروني وخرجوا.

لقاء مع الدكتور أياد علاوي

في صباح يوم الأربعاء ٢٠٠٤/٩/١، توجهت إلى بغداد، للقاء الدكتور أياد علاوي، رئيس وزراء العراق آنذاك، وكان الموعد في الساعة الخامسة مساءً.

وقد التقيته بتكليف من مكتب سماحة السيد السيستاني، بحضور الدكتور قاسم داود.

ناقشت معه في هذا الاجتماع أموراً عديدة، أهمها:

- ضرورة الإسراع بإعطاء التعويضات للمتضررين في أحداث مدينة النجف، من خلال إرسال لجان تخمين، تبدأ بالدفع الفوري للمتضررين من ذوي الدخل المتدني، وأصحاب المحلات والعربات الصغيرة.
- أهمية تفعيل البند الثالث في اتفاق النجف الذي ينصّ على أن «النجف والكوفة مدينتان خاليتان من السلاح» ويتم ذلك عبر التفتيش عن الأسلحة بشكل موضوعي، من دون انتهاك للحُرمات،

وعدم استثناء أي أحد، بما في ذلك مكتب سماحة السيد السيستاني.

- ❖ عدم استفزاز التيار الصدري، ومحاولة تهدئة النفوس، وصولاً إلى إشاعة حالة من الثقة المتبادلة بينه وبين الجهات الحكومية، والتواصل معه لمعرفة احتياجاته ومتطلباته.
- ❖ ضبط وتقنين مسألة الزوار الإيرانيين للعتبات المقدسة في العراق، من خلال الاهتمام بعقد اتفاقية واضحة بين الجانبين العراقي والإيراني، يُحدّد فيها عدد الزوار يومياً، بما يتناسب مع إمكانيات البلد، وإنهاء حالة الفوضى القائمة في الوقت الحاضر.
- ❖ مسألة إطلاق سراح مجموعة من المعتقلين من بعض التنظيمات العراقية، فإذا وُجّهت إليهم تهمة معيّنة يجب أن يحالوا إلى القضاء، وحسب معلوماتنا أنهم اعتقلوا من دون مذكّرات قضائية، وهذا غير مقبول في العراق الجديد.
- ❖ ضرورة الإسراع بتشكيل لجنة لتقصّي الحقائق حول أحداث قتل المتظاهرين على أبواب مدينة النجف الأشرف، يوم دخول سماحة السيد إليها.
- ❖ أهمية إجراء الانتخابات في موعدها، وضرورة أن تكون حرّة ونزيهة، وتمكين الشعب العراقي من انتخاب ممثليه من دون ضغط وإكراه.

(انظر الوثيقة رقم ٢٣).

وكانت أجواء اللقاء إيجابية، وتقبّل الدكتور أياد علاوي وتفهّم كل النقاط الآنفة الذكر، ووعد بتنفيذها.

في رحاب سماحة السيد السيستاني دام ظله... لقاء توديعي:

في يوم الجمعة ٢٠٠٤/٩/٣، الساعة التاسعة ليلاً، جلست بخدمة سماحة السيد السيستاني حدود ساعة كاملة لتوديعه، حيث كنت قد قررت السفر صباح السبت إلى البصرة ومنها إلى الكويت ومن ثم بيروت.

كان اللقاء طيباً، إذ غمرني سماحته بمحبته الأبوية، وعرضت بخدمته تصوري لاستحقاقات المرحلة المقبلة، وتداعيات نجاح مبادرة المرجعية في حلّ أزمة النجف عليها، وقلت لسماحته: لقد منّ الله على المراقبين بوجود مرجعية حكيمة ورائدة في هذا الظرف التاريخي الحساس، ولقد رأيت عواطف الناس الصادقة في الطريق من البصرة إلى النجف، هؤلاء يا سيدنا لهم حقّ علينا، يجب أن نفعل شيئاً من أجلهم.

قال سماحته: ما تقوله صحيح، ولقد تأثرت كثيراً بما شاهدت، وأنا كل همّي وغمّي وتفكيري مع هؤلاء الناس.

قلت: يا سيدنا، أنتم دعوتم إلى إجراء الانتخابات، وحوّلتم الحلم إلى حقيقة، وعارضتم مشروع الولايات المتحدة الامريكية وأتيتم بالأمم المتحدة، فهل يجوز أن نترك الناس في منتصف الطريق حيارى لا يدرون ماذا يفعلون؟

قال سماحة السيد: فهل لديك مقترح؟

قلت: يا سيدنا، المرجعية يمكن أن تهزّ العصا، ولا تضرب بها. يجب أن تُطالب الأحزاب التي تتولى تشكيل اللوائح الانتخابية أن

تتضمن لوائحهم أسماء شخصيات مستقلة. يجب أن يفسحوا المجال أمام النخب والفعاليات المستقلة لتمارس حضورها في الساحة، وأن لا تُغيّب، وإذا لم يستجيبوا يجب أن يهددوا أنهم في وادٍ والناس في واد، وأنا أعتقد أنهم سوف يستجيبون[١].

قال سماحة السيد: ما قلته صحيح، القانون الانتخابي الفعلي الذي يقوم على أساس العراق دائرة واحدة لا يعكس تمثيلاً واقعياً في كثير من الأحيان، ولو كان على أساس المحافظة والنسبية لكان أفضل بكثير. لا بدّ من التفكير للقيام بشيء ما.

وفيما قلت لسماحة السيد: كما تعلمون فإنني متخصص بتحقيق المخطوطات، وهذا التخصص دفعني لأن أدقّق في الأمور إلى أقصاها، أعرف أن (الغيب) جزء أساسي في فكرنا الإسلامي، ولكن أعرف أيضاً أن تطبيقاته يفترض أن تخضع لثوابت عقلية. في الوقت نفسه الذي أذكر فيه هذا الكلام أؤكد لكم ـ يا سيدنا ـ أن ما جرى في هذه الرحلة التاريخية من النجف إلى لندن، والعودة الميمونة عن طريق الكويت والبصرة إلى النجف، والنتيجة التي حصلنا عليها، كل هذا هو بعين الله، وأن اليد الغيبية كانت حاضرة في كل ما حدث.

قال سماحة السيد: نعم، هذا صحيح، أعتقد أن اليد الإلهية

---

(١) كانت هذه الأفكار تستند إلى رؤية أن الأحزاب الرئيسة المنضوية في مجلس الحكم سوف تشكل لائحة واحدة تخوض بها الانتخابات، في حين أن هنالك عدداً كبيراً من الشخصيات الاجتماعية والثقافية والعشائرية والنقابية في عموم العراق لم تشكل وتنظم نفسها بعد، وسوف تحرم من المشاركة، لأن النظام الانتخابي على أساس العراق دائرة واحدة يعتمد الكيانات السياسية وقوائمها. هذه الهواجس كانت قبل أن تتبلور فكرة تشكيل لجنة سداسية تتصدى لإعداد لائحة وطنية تخوض الانتخابات.

كانت حاضرة في كل ما حصل، ولكن لولا الإدارة الجيدة للمسألة لما وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه.

سألت سماحة السيد عن منابع ثقافته الشمولية والمتنوعة، فحدثني مطولاً عن ذلك، عن مطالعاته الكثيرة طيلة عقود من الزمن، لكتب تختلف بموضوعاتها. وتتجاوز الاختصاصات الفقهية والأصولية، إلى علوم القانون والتاريخ القديم والحديث، وكتب مذكرات الساسة، والكتب الفكرية الحديثة[1].

وأخبرني سماحته عن منهجه في المطالعة، وهو أنه أحياناً يعيد قراءة الكتاب مرتين، مرة ليتعرف على منهج المؤلف في تأليف كتابه، ومرة أخرى يركّز فيها على مضمون الكتاب.

وفي نهاية اللقاء أهداني سماحته نسخة مخطوطة من الصحيفة السجادية كانت قد أهديت له، وهي أعز ما أحتفظ به من الذخائر المعنوية.

---

(١) قبل عدة سنوات وبعد تصدي سماحة السيد السيستاني للمرجعية، أثناء حكم النظام السابق، راسلت السيد محمد رضا السيستاني، وسألته ضمناً عما يحتاجه سماحة السيد من كتب لنقوم بتهيئتها من بيروت. فكان رده مفاجئاً لي آنذاك، وهو أنهم بحاجة، إضافة إلى الكتب الفقهية والأصولية، هم بحاجة إلى الكتب الفكرية الحديثة، وبالفعل كنت أبعث بين الفينة والأخرى آخر ما تصدره دور النشر العربية من هذه الكتب. ومن الظلم الكبير الذي يلحق بسماحة السيد السيستاني هو أن هذا الجانب العظيم والفريد في شخصيته المميزة غير معروف، ومجهول. ولعل مواقفه في العملية السياسية في العراق أبانت جزئياً هذا الجانب من شخصيته.

الوثائق

وثيقة رقم ١

٥/٦/٢٠٠٨

الدكتور محمد القبان	عيادة ابن النفيس لفحص القلب بالإجهاد EXERCISE STRESS ECG TEST	الدكتور نظام الحسني

	P. r	B.p	Sign and Symptom
Resting ECG	120/min	160/100	T ↓ in V5 - V6
Stage - 1	135/min	170/100	T ↑ in V5 - V6
Stage - 2	165/min	170/100	T ↑ in V6
Stage - 3			
Stage - 4			
Stage - 5 & 6			
Post Ex. - 1	125/min	160/100	T ↓ in inf - lat
- 2	110/min	160/100	

→ good Ex. T. T

→ Normal Response of B.P to Test.

→ stopped at stage II due to reached 100% of Target rate

→ Resting ECG show T ↓ in V5 - V6 lead. during Ex T ↑ also post Ex. then return to ↓. post 5 min. No chest pain

Conclusion : No Arrythmia ....

Best Regards

②

وثيقة رقم ٢



عيادة الايمان لفحوصات القلب



د. ايمان رشيد العبيدي ـ اخصائية باطنية وقلبية ـ تخصص فحوصات الايكو في مراكز العراق

Dr. EMAN R. AL-OBAEDY M. B. Ch. B. D.M.

SPECIALITY OF ECHO CARDIOGRAPHY
IN CARDIAC CENTER IN IRAQ.

REFERRING Dr: MAJED ABD Al-AMER

PATINENT NAME: Ali Alsestine AGE: 55yrs SEX: F

DIMENSIONS :

AO root 26 mm LVDD 51 mm SF 0.3
LA 24 mm LVSD 30 mm MVA sq.cm

DESCRIPTION :-

1- Normal size cardiac chambe\vrs
2- Normal setal wall thickness I V S = 12mm so for posterior wall Good L V global function E F =65 percente , No pericardial effusion
3 Infero apical wall hypokinesia , No L V apical aneurysm or mural thrombi
4- Normal aortic & mitral valve
5- Normal tricuspid & pulmonary valve
6- Normal aortic arch

(٣)

CONCLUSION :
ISCHEMIC HEART DISEASE WITH GOOD L V GLOBAL FUNCTION 5-6--2001

Dr. EMAN R. AL-OBAEDY

رقم التسجيل ١١١٥٥ في ١٩٨٣/٨/١٤ بغداد ـ شارع السعدون ـ ساحة النصر ـ عمارة النجوم
مجاور سينما النجوم ـ مجاور صيدلية مهدي نوري الطائل الارضي

وثيقة رقم ٢

Medical Report

Date : 10. July .2004

Ref : Mr Ali Hussai
Age : 73 year
Address : Holy Najaf , Iraq

Mr Ali Hussain has been under my care for the last 13 years . He is known to be hypertensive with excellent control of his blood pressure on atenolol 50 mg tab / day . His condition continued to be stable till June 2001 when he developed atypical chest pain , his ECG at that time showed ST-T changes in the lateral leads . Subsequent tread mill test was negative therefore no further action was arranged apart from regular clinical and laboratory checks which all remained normal . In particular his blood pressure , his body weight and his lipid profile were all stable .Few weeks ago , he experienced transient self limited palpitation without any other significant symptoms .An ECG done later revealed new changes in the lateral leads which is highly suggestive of CAD despite the absence of typical symptoms which may be due to his sedentary life style with very little or almost negligibale physical activity and the possible effect of the concomitant treatment with atenolol . In view of these recent changes , we think that coronary angiography is strongly indicated for future planning of his management and would be grateful for your kind advice about it's feasibility in his case .In addition to atenolol , he is currently on aspirin 325 mg tab / day and calcium supplementation as he has not been exposed to the sunlight for years because of some particular social reasons .Enclosed is a copy of his 2 most recent ECGs .

Dr Majeed Almustafa , MRCP(UK) , FRCP(Edin.)
Assistant Prof , Department of Medicine ,
Al-Mustansiriya College of Medicine ,
Al-Mustansiriya University , Baghdad , Iraq .

وثيقة رقم ٤

Professeur Ass. Roland Kassab
Chef de Service de Cardiologie
à l'Hôtel-Dieu de France
Membre Associé de la Société
Française de Cardiologie
C.E.S. Cardiologie
D.U. Echocardiographie
D.U. Physiologie Cardiaque

البروفيسور رولان كساب
رئيس قسم القلب في
مستشفى أوتيل ديو
عضو مساعد في جمعية
طب القلب الفرنسية

الى من يهمه الأمر

ان السيد علي حسين، ٧٢ سنة:
يشكو من انسداد في شرايين القلب
على ضوء تخطيط القلب ECG؛
وحيث ان التخطيط المذكور قد تطور
ما بين شهر ٢/٢٠٠٤ و ٤/٢٠٠٤،
وبما ان المريض يتبع علاجاً طبياً،
يستوجب في هذه الحالة اجراء عملية
تمييل لشرايين القلب
Coronary angiography
او اجراء نفخ بالبالون + روسور عند
الحاجة. قبل اجراء التمييل، يترتب

Tél: Dom. 01 - 487784
Clinique: Hôtel - Dieu: 01 - 615300
Poste: 8124
Jinny: 280001

تلفون: منزل ٤٨٧٧٨٤(٠١)
عيادة: أوتيل ديو ٦١٥٣٠٠ (٠١)
جهاز: ٨١٢٤
جيني: ٢٨٠٠٠١ (٠١)

المريض أخذ دواء Clopidogrel

يستأهل عملية البالون.

على التخطيطين [illegible] ، وعدم

بالألم في الصدر ، يتحمل أنه

الانسداد محصوراً في أحد الشريانين،

يستوجب تمديد البالون والرسور.

Angioplasty + Stent

في ١٢/٧/٢٠٠٤

Professeur Ass. Roland KASSAB
Chef de Service de Cardiologie
N° Ordre K/174

وثيقة رقم ٥

الدكتور سمير العلم
أمراض القلب
الجامعة الأميركية في بيروت
المركز الطبي

SAMIR ALAM, M.D., F.A.C.C.
Cardiology
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
Medical Center

Name :

Rx :

Indications are
suggestive of active
ischemia.
Recommend:
Stress test;
findings would
influence decision
for invasive evaluation

Date 12 JUL 2004 .... M.D.

هاتف : ٣٤٠٤٦٠ – ٣٥٠٠٠٠ – ٣٧٤٣٧٤ – ٣٧٤٤٤٤ – مقسم : ٥٨٢٠ – المنزل : مقسم : ٢٧٣٥ – العيادة : (خط مباشر) ٠١/ ٧٤٩٢٣١
Tel : A.U.B-M C: 340460-350000-374374-374444 Ext: 5820 - Home: AUB Ext: 2735 - Clinic: (Direct Line) 01/ 749231

وثيقة رقم ٦

بيان صادر من مكتب سماحة السيد السيستاني " دام ظله" في النجف الأشرف حول الاعتداءات التي طالت عدد من الكنائس المسيحية في بغداد والموصل .

بسم الله الرحمن الرحيم

في مسلسل الأعمال الاجرامية التي يشهدها العراق العزيز وتستهدف وحدته وأمنه واستقراره واستقلاله تعرض عدد من الكنائس المسيحية في بغداد والموصل الى اعتداءات آثمة أسفرت عن سقوط عشرات الضحايا الأبرياء بين قتيل وجريح كما تسببت في خسائر أخرى في الممتلكات العامة والخاصة .

وانّا اذ نشجب وندين هذه الجرائم الفظيعة ونرى ضرورة تضافر الجهود وتعاون الجميع - حكومة وشعباً - في سبيل وضع حد للاعتداء على العراقيين وقطع دابر المعتدين نؤكد على وجوب احترام حقوق المواطنين المسيحيين وغيرهم من الأقليات الدينية ومنها حقهم في العيش في وطنهم العراق في أمن وسلام .

نسأل الله العلي القدير ان يجنب العراقيين جميعاً كل سوء ومكروه وينعم على هذا البلد الجريح بالأمن والاستقرار انه سميع مجيب .

١٥/ج٢/١٤٢٥

٢/٨/٢٠٠٤



وثيقة رقم ٧

بسمه تعالى

لما رفضنا العرض الذي تقدم به الدكتور موفق الربيعي لنقل سماحة السيد دام ظله بطائرة عمودية الى
بغداد وبعدما قلنا ان سماحة السيد يرفض ركوب الطائرة الامريكية وان لم تحمل علامة خاصة بالامريكيين
ويكون الملاح عراقياً فقال انه لا يمكن للحكومة العراقية تأمين موكب سماحة السيد الى بغداد لان
طريق النجف - الحلة - بغداد خطر جداً، كان جوابنا انا سننتقل الى بغداد عن طريق البر على
مسؤوليتنا، وبعد ذلك قررنا ان ننطلق الى بغداد قبل موعد الاقلاع من مطارها بيوم واحد.
ولهذا الغرض اتفقنا مع احد الاصدقاء وسائقي سيارات الاجرة للسفر بعد ظهر يوم (الخميس)
ولكن بدأت الاشتباكات المتقطعة بين عناصر جيش المهدي والقوات الامريكية منذ منتصف
الليل واشتدت شيئاً فشيئاً حتى انقطع الطريق بين النجف والكوفة، وكذلك الطريق بين
النجف وكربلاء وتوسعت حتى شملت معظم جوانب المدينة قبل ظهر ذلك اليوم، وبدأت
تراودنا شكوك جدية في امكان الخروج من النجف بعد الظهر كما كان مقرراً، ولما اتصلت
بالاستاذ حامد الخفاف تلفونياً لاخباره بالحال واحتمال الغاء الرحلة او تأجيلها.
ولكن وردتنا بعض الاخبار بان الطريق الجنوبي بين النجف والحيرة لا يزال مفتوحاً وان
الاشتباكات في ذلك الجانب من المدينة متفرقة فقررنا في الساعة الثانية بعد الظهر
استدعاء السيارتين للخروج من النجف وجاءت احداهما قريب الساعة الثالثة ولم يتيسر
ذلك للسيارة الثانية بسبب انقطاع الطرق فاستعضنا بسيارة اخرى لم تكن مهيأة
من حيث التزود بالوقود الكافي لطي المسافة الى بغداد ولكن لم نجد بداً من ركوبها، فخرجنا
في ثلاث سيارات من جهة شارع السور قريباً من جامع الطريحي واخترقت السيارات
شوارع منطقة (الجديدة) والاطلاقات النارية تنهمر من كل صوب وجهة واحياناً
من فوق رؤوسنا الى ان وصلنا الى شارع ابو صخير وخرجنا من المدينة فسلكنا الطريق
الى الحيرة ثم ابو صخير ثم الشامية ثم الديوانية ثم الدغارة ثم الشوملي ثم النعمانية
ثم الحفرية وجرف النداف ثم دخلنا بغداد بعبور جسر ديالى القديم واستمرت

الرحلة قرابة ست ساعات.

وفي اثناء الطريق نفذ وقود احدى السيارات وكان فيها عدد من الحراس فاضطرت الى التوقف الى ان تيسر شراء كمية من الوقود لها ولكنها لم تلحق بنا الا بعد الوصول الى بغداد والنزول منها. وفي اثناء الطريق ايضاً توقفنا في جنب احد المطاعم القريبة من الشارع العام لاستخدام مرافقها الصحية.

ووصلنا الى بغداد وظلام الليل قد عم كل مكان ونزلنا في دار احد اصدقائه في شارع فلسطين وقضينا تلك الليلة فيها وقد اتصلت بعد وصولنا بالدكتور موفق الربيعي تلفونياً واخبرته بوجودنا في بغداد فاستغرب ذلك. وفي الصباح اتصلت به ثانياً واخبرته بعنوان الدار فجاء ملثماً في سيارة اجرة وانتقلنا بسياراتنا الى مطار بغداد وكانت سيارة الدكتور الربيعي امامنا الى ان وصلنا المطار فوجدنا طائرة مشتركة ضباط الريح والاستاذ حامد الخفاف بانتظارنا.

وثيقة رقم ٨

البيان الصادر من مكتب سماحة السيد السيستاني دام ظله في النجف الأشرف حول وضعه الصحي

بسم الله الرحمن الرحيم

ألمّ بسماحة السيد السيستاني -دام ظله- مؤخراً وعكة قلبية وقد استدعي فريق من اخصائيي القلب العراقيين الى النجف الاشرف للتشخيص والمعالجة .

ووفقاً لما ارتآه الفريق الطبي فقد تقرر متابعة الاجراءات الطبية اللازمة في احدى المستشفيات المتخصصة في المملكة المتحدة ، وقد وصل اليها سماحته في مساء هذا اليوم .

نرجو من المؤمنين الكرام ان لا ينسوا سماحته من صالح الدعاء في مظان الاجابة كما لا ينساهم ان شاء الله تعالى .



١٩/ج٢/١٤٢٥

٦/٨/٢٠٠٤

وثيقة رقم ٩

البيان الصادر من مكتب سماحة السيد السيستاني دام ظله في النجف الأشرف حول وضعه الصحي

رقم : (2)

بسمه تعالى

زار فريق طبي سماحة السيد السيستاني دام ظله فور وصوله الى لندن أمس ، ووفقاً لما قرره الفريق الطبي فقد دخل سماحته احدى المستشفيات المتخصصة لاجراء الفحوصات الضرورية واجراء اللازم .

وسنوافي المؤمنين الكرام تباعاً بآخر المستجدات الخاصة بوضع سماحته الصحي.

السبت

20/ج2/1425هـ

7 / 2004/8



وثيقة رقم ١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الاخوة اعضاء البيت الشيعي المحترمون

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : لغرض وضع حد للحالة المأساوية في مدينة النجف الاشرف وانتهاك حرمة العلوية المقدسة وسائر الاماكن الشريفة فيها اعلن موافقتي على الخطة التالية :

١- الغاء جميع المظاهر المسلحة واشغال المباني الحكومية من قبل الدوائر والمؤسسات الحكومية وانسحاب جميع مقاتلي جيش المهدي من غير ابناء محافظة النجف الاشرف من هذه المدينة، والتوقف عن ملاحقة الاشخاص ومحاكمتهم والتعهد بعدم العود الى ذلك.

٢- افساح المجال للشرطة وسائر القوات الوطنية العراقية بممارسة مهامها في توفير الامن والنظام، وعدم مزاحمتها في ذلك من أي احد.

٣- انسحاب قوات الاحتلال الى قواعدها باستثناء وحدات صغيرة لحماية مقرها ومبنى المحافظة، مع استمرار تواصلها مع هذين المكانين.

٤- اجراء مناقشات واسعة مع ممثلي البيت الشيعي بشأن مستقبل جيش المهدي والملفات القضائية، وعدم اتخاذ أي اجراء الى ذلك الحين.

يرجى اتخاذ الاجراءات اللازمة لتنفيذ هذه الخطة وشكرا.



مقتدى الصدر

٦ ربيع الثاني ١٤٢٥

وثيقة رقم ١١

بسم الله الرحمن الرحيم

اجري لسماحة السيد السيستاني دام ظله خلال الايام الماضية عدد من الفحوصات الخاصة بالقلب وشرايينه ومنها الفحص بجهاز المفراس للشرايين التاجية وفحص القلب بالمواد المشعة قبل اختبار الجهد وبعده .

وفي ضوء النتائج المستحصلة استبعد الفريق الطبي الحاجة الى التدخل الجراحي لعلاج الاضطرابات التي يعاني منها سماحته ، ولكنه قرر استمرار الاستشارات والفحوصات الطبية الاخرى لتحديد العلاج اللازم لسماحته دام ظله .

نرجو من المؤمنين الكرام ان لاينسوا سماحته من الدعاء في مظان الاجابة كما لاينساهم ان شاء الله تعالى .

مكتب السيد السيستاني دام ظله
النجف الأشرف

٢٣/ع٢/١٤٢٥

١٠/٦/٢٠٠٤م

وثيقة رقم ١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة سيدنا ومرجعنا المقلدى آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله).

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

أعلنت سلطات الاحتلال في العراق أنها قررت تشكيل مجلس لكتابة الدستور العراقي القادم ، وأنها ستعين أعضاء هذا المجلس بالمشاورة مع الجهات السياسية والاجتماعية في البلد، ثم تطرح الدستور الذي يقره المجلس للتصويت عليه في استفتاء شعبي عام.

نرجو التفضل ببيان الموقف الشرعي من هذا المشروع وما يجب على المؤمنين ان يقوموا به في قضية اعداد الدستور العراقي.

جمع من المؤمنين

٢٠/ربيع الآخر / ١٤٢٤هـ

بسمه تعالى

ان تلك السلطات لا تتمتع بأية صلاحية في تعيين أعضاء مجلس كتابة الدستور، كما لا ضمان أن يضع هذا المجلس دستوراً يطابق المصالح العليا للشعب العراقي ويعبر عن هويته الوطنية التي من ركائزها الأساس الدين الإسلامي الحنيف والقيم الاجتماعية النبيلة، فالمشروع المذكور غير مقبول من أساسه، ولا بد أولاً من إجراء انتخابات عامة لكي يختار كل عراقي مؤهل من يمثله في مجلس تأسيسي لكتابة الدستور، ثم يجري التصويت العام على الدستور الذي يقره هذا المجلس، وعلى المؤمنين كافة المطالبة بتحقيق هذا الأمر المهم والمساهمة في إنجازه على أحسن وجه. أخذ الله تبارك وتعالى بأيدي الجميع إلى ما فيه الخير والصلاح والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٥/ر٢/ ١٤٢٤

علي الحسيني السيستاني

وثيقة رقم ١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتب سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

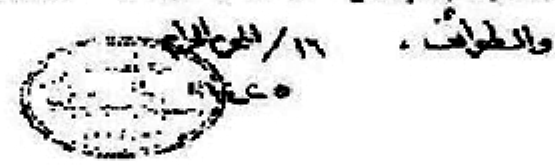
و بعد : ما هو موقف سيدنا و مرجعنا المقتدى من (قانون ادارة العراق للفترة الانتقالية) ؟

جمع من المؤمنين
١٦ / المحرم
١٤٢٥

بسمه تعالى

لقد سبق لسماحة السيد مد ظله ان اوضح في تعقيبه على اتفاق ١٥/ تشرين الثاني ان اي قانون يعد للفترة الانتقالية لن يكتسب الشرعية الا بعد المصادقة عليه من الجمعية الوطنية المنتخبة ، ويضاف الى ذلك ان هذا (القانون) يضع العراقيل امام الوصول الى دستور دائم للبلد يحفظ وحدته وحقوق ابنائه من جميع الاعراق والطوائف .

١٦ / المحرم الحرام
١٤٢٥



وثيقة رقم ١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس مجلس الأمن الدولي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد: بلغنا أن هناك من يسعى إلى ذكر ما يسمى بـ(قانون إدارة الدولة العراقية للمرحلة الانتقالية) في القرار الجديد لمجلس الأمن الدولي حول العراق بغرض إضفاء الشرعية الدولية عليه.

إن هذا (القانون) الذي وضعه مجلس غير منتخب وفي ظل الاحتلال وبتأثير مباشر منه يقيّد الجمعية الوطنية المقرر انتخابها في بداية العام الميلادي القادم لغرض وضع الدستور الدائم للعراق.

وهذا أمر مخالف للقوانين ويرفضه معظم أبناء الشعب العراقي، ولذلك فإن أي محاولة لإضفاء الشرعية على هذا (القانون) من خلال ذكره في القرار الدولي يعد عملاً مضاداً لإرادة الشعب العراقي وينذر بنتائج خطيرة.

يرجى إبلاغ موقف المرجعية الدينية بهذا الشأن إلى السادة أعضاء مجلس الأمن المحترمين، وشكراً.



١٧/٤/١٤٢٥هـ

٦/٦/٢٠٠٤م

وثيقة رقم ١٥

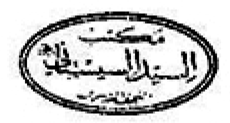
بيان صادر من مكتب سماحة السيد السيستاني دام ظله في النجف الأشرف حول الأحداث الجارية في العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

تمرّ مدينة النجف الأشرف وعدد من المدن العراقية الاخرى في هذه الأيام بظروف مأساوية، حيث تنتهك فيها الحرمات وتزهق الأرواح وتراق الدماء وتدمر الممتلكات ولا رادع ولا مانع .

وسماحة السيد السيستاني دام ظله الذي اقتضت ظروفه الصحية ان يكون بعيداً عن النجف الأشرف في هذه الأيام العصيبة يتابع _ وهو على سرير المستشفى _ بألم بالغ وقلق شديد معاناة أهله وأبناءه العراقيين ويشاركهم في آلامهم ومصائبهم ، ويواصل مكتبه بذل جهود حثيثة ومع مختلف الأطراف من المسؤولين العراقيين وغيرهم لوضع نهاية سريعة للوضع المأساوي الراهن.

وان سماحته دام ظله اذ يدعو كل الأطراف ذات العلاقة للعمل الجاد من أجل انهاء هذه الأزمة في أسرع وقت ووضع أسس تضمن عدم تكرارها مستقبلاً يدعو الله جلّت آلاؤه ان يجعل العراق آمناً ويدفع عنه كل سوء ومكروه انه سميع مجيب .



الخميس

25/ج2 / 1425هـ

12/ 8/ 2004 م

وثيقة رقم ١٦

بسم الله الرحمن الرحیم

حضرت آیة الله العظمی حاج سید علی سیستانی دامت برکاته

خبر عارضه کسالت جنابعالی موجب نگرانی شدید گردید. از خداوند متعال مسألت میکنم که شفا و عافیت عاجل به آن جناب مرحمت فرماید. و سلامت آن وجود محترم را که تکیه‌گاه معنوی ملت عراق میباشید بشما برگرداند.

جنابعالی همواره در طول سالهای متمادی پشتیبان استوار معنوی و روحی برای این ملت مظلوم بوده‌اید. و امروز هم علیرغم خواست دشمنان و نظر بداندیشان همانگونه است. و دعا برای شما دعا برای سعادت ملت عراق است.

از خداوند متعال دفع شر بیگانگان و اشغالگران ظالم و متجاوز را از ملت مسلمان عراق و همه ملتهای مسلمان مسألت میکنم.

سید علی خامنه‌ای

۸۳/۵/۲۱

وثيقة رقم ١٧

بسمه تعالی

قضایا در نجف به لحظه بسیار حساس نزدیک می‌شود
اتفاقی که می‌افتد برای شیعه بسیار بد خواهد شد
اگر آقایان مراجع در اینجا و اینجانب اقدامی نمی‌کنیم
به خاطر شما است ، نمی‌خواهیم موضعی اتخاذ شود
که اصلاً مخالف موضع شما باشد ، اما بنظر می‌رسد
که لازم است شما تشر محکمی به دولت عراق بزنید .
امروز هر اتفاقی بیفتد برای شیعه غیر قابل جبران
و غیر قابل تحمل است .

اگر خدای نکرده این مجموعه را در اینجا بکشند خون سید
مقتدی در آنجا ریخته شود مردم عراق و شیعه خواهند
گفت علما نشستند و تماشا کردند و اینها را کشتند
حتما باید کاری صورت بگیرد .

پس از قبول همه شرایط باز آمدند و خواسته‌های
تازه‌ای را مطرح کردند .   من منتظر جواب هستم .

وثيقة رقم ١٨

بسمه تعالی

با ابلاغ سلام و با تشکر و تقدیر از عنایت جنابعالی باستحضار
می‌رسانم: اینجانب قضایای نجف را ساعت به ساعت پیگیری
می‌کنم و پس از اعلام پذیرش مطالب کنگره ملی عراق از طرف
آقای سید مقتدی به نخست وزیر عراق صریحاً ابلاغ نمودم
که دیگر برای اقدام نظامی هیچگونه بهانه‌ای نیست و باید
از این فرصت جهت توقف خونریزی در نجف استفاده
شود، در غیر اینصورت مرجعیت موضع گیری شدیدی
خواهد داشت. در طی ساعتهای گذشته علی الدوام
با مقامات عراقی و اشخاص ذی ربط دیگر در تماس بوده‌ام
مقامات اصرار دارند آقای سید مقتدی شخصاً پذیرش
شروط یاد شده را اعلام نماید. فکر می‌کنم که اگر این امر
انجام بگیرد گام مهمی در خاتمه دادن به وضع تأسف‌آور
نجف خواهد بود. اگر سایر آقایان نیز بتوانند اقدامی
در زمینه حل بحران نجف بنمایند بسیار بجا و مناسب
است چون جلوگیری از حدوث یک فاجعه بزرگ
در نجف وظیفه همگان است. والسلام.

وثيقة رقم ١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

يشكر سماحة السيد السيستاني دام ظله جميع المؤمنين الكرام الذين تجشموا عناء السفر الى مدينة النجف الاشرف متزامناً مع عودة سماحته اليها من رحلته العلاجية في الخارج ، مثمناً ما بذلوه من جهد بالغ في سبيل انقاذ المدينة المقدسة وحفظ حرماتها .

كما يبدي سماحته حزنه وبالغ أسفه على تعرض جمع من الوافدين للاطلاقات النارية مما أدى الى سقوط عدد من الابرياء بين قتيل وجريح ، مطالباً الجهات المختصة باجراء التحقيقات اللازمة لتحديد المقصرين ومحاسبتهم .

نسأل الله العلي القدير ان يمن على جميع ربوع العراق العزيز بالامن والاستقرار ويجنب العراقيين كل سوء ومكروه انه سميع مجيب .



وثيقة رقم ٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

سري وشخصي

وزارة الداخلية

مكتب وكيل الوزارة لشؤون الشرطة

(التحقيق - شرطة)

العدد/ ٢٠٨١

التاريخ ٢٢/آب/٢٠٠٤

الى/ قائد شرطة النجف شخصياً

الموضوع/ عقد اجتماع

عقد اجتماع بين دولة السيد رئيس الوزراء والسيد حامد الخفاف ممثل اية الله السيدعلي السيستاني في لبنان وتمت مناقشة مايلي:-

١. التحقيق في موضوع التظاهرات واساءة الشرطة للمتظاهرين . من خلال تشكيل لجنة تحقيق ويبدو أن هناك عدم رضا عن قائد شرطة النجف .
٢. تخفيف حالات الاستفزاز من قبل الشرطة والادارة المدنية للسيد مقتدى .

اتخاذ ما يقتضي بخصوص الفقرتين أعلاه وإعلامنا اجراءاتكم بالسرعة على أن تردنا الاجابة خلال ٧٢ ساعة .. رجاءً .

مكتب السيد حسين مرتضى ...

السيد اية الله السيستاني

٢٨/٨

اللواء

الوكيل المساعد

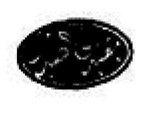
آب ٢٠٠٤

وثيقة رقم ٢١

بسمه تعالى

الى اخوتي في جيش الامام المهدي (ع) ارجو منكم رجاءاً اكيداً بل هو لزام عليكم اذا جاءت الجنود المساعدة بل المناصرة لامير المؤمنين (ع) ما تخرجوا معهم من دون سلاح من مدينتي الكوفة والنجف في مدة اقصاها العاشرة صباحا من يوم ٣ ذو الحجة، ولا تعصوا الاوامر والا كان هذا الغدر الكبير عليَّ، وعليكم اطاعة الاوامر المرجعية والحوزة العلمية فما تجيبوا واسمعوا، ولا تكونوا ممن عصى فتهلكوا وانتم يا اخوتي واحدتم ولم تقصروا فرحمه الله ودائكم عن ادائكم خيراً وفقكم الله وجزاكم الله خير جزاء المحسنين





مقتدى الصدر

وثيقة رقم ٢٢

بسمه تعالى

ان سماحة السيد السيستاني دام ظله يدعو الى ما يلي :

اولاً : اعلان مدينتي النجف الاشرف والكوفة خاليتين من السلاح وخروج جميع العناصر المسلحة منهما وعدم عودهم اليها .

ثانياً : تولي الشرطة العراقية مسؤولية حفظ الامن والنظام في ارجاء المدينتين .

ثالثاً : خروج القوات الاجنبية منهما .

رابعاً : تعويض الحكومة العراقية جميع المتضررين في الاشتباكات الاخيرة .

خامساً : مساهمة جميع القوى والتيارات الفكرية والاجتماعية والسياسية في خلق الاجواء المناسبة لاجراء التعداد السكاني ومن ثم الانتخابات العامة التي من خلالها يمكن استعادة السيادة الكاملة .

٨ / رجب / ١٤٢٥

بسمه تعالى

هذه طلبات بل اوامر مرجعية وانا مستعد لتنفيذ الاوامر المرجعية مع فائق الشكر

مقتدى الصدر

٩ رجب ١٤٢٥

وثيقة رقم ٢٣

باسمه تعالى

إلى الإخوة في مسجد الدكتور المعظم أرجو تسليم المسجد إلى مكتب

السيد السيستاني (دام ظله) كما هو متفق عليه سابقاً، وحسب

رغبتنا في عودة الجهة [illegible] [illegible] وتحمل كل المصاعب، وما تعودوا الله

وتعودوا [illegible] بالنشاط، ودمتم [illegible] [illegible] [illegible] يا إخوتي الأعزاء فشكراً

لكم.



المحتويات

الفصل الثاني

سماحة السيد السيستاني (دام ظله) في لندن العلاج، ومتابعة أزمة النجف

الفصل الثالث
العودة إلى العراق، وحلّ أزمة النجف الأشرف